

(الانتصار.. للنبي

(المختار)

تأليف وجمع وترتيب الفقير إلي

عفو ربه

أبي محمد

الدكتور / أحمد إسماعيل

زيد

غفر الله له ولوالديه ولسائر

المسلمين



ظاهر الرحمة في
الإسلام)
تأليف وجمع وترتيب الفقير إلي عفو
ربه
أبي محمد
الدكتور / أحمد إسماعيل زيد
غفر الله له ولوالديه ولسائر
المسلمين

«مقدمة»

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

سوف نتناول بأذن الله في هذا الكتاب وسنبين أكبر جريمة نكراء وفعلة شنعاء ترتكب ضد الأديان، وضد الرسل أجمعين، تلك الجريمة البشعة الشنعاء التي خطتها أقلام سفيهه، أو رسمتها ريشه ضليل، أو نطق بها لسان حاقد بغرض الإساءة إلى صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، والمقام المحمود، وصاحب الشفاعة العظمى محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وإن كان رسول الله أجل وأعلى وأسمى من أن تطاله هذه التفاهات الآثمة، فأنى لقزم أن يطاول قبة السماء، وهل يطفأ نور الشمس بالنفخ فيه، وهل من زكاه الله ينقصه ما قاله ناقص؟

يا مُصْطَفِي مَنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ وَالْكُونُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ

أَيُّرُومُ مَخْلُوقٍ ثَنَاءَكَ بَعْدَمَا أَتْنَى عَلَى أَخْلَاقِكَ الْخَلَاقُ

يَا مَنْ أَسَاتَ بِرَسْمٍ فِي مَشْفَعِنَا شَلْتَ مَدَى الدَّهْرِ وَالتَّارِيخِ كِفَاكَ

كَيْفَ اجْتَرَأْتَ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى سَفَهَ قَدْ بَوَّتْ بِالْإِثْمِ ظَلَامًا وَأَفَاكَ

إِنَّ الرِّسُولَ لِنُورِ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ لَكِنْ تَعَامَتِ عَنِ الْأَنْوَارِ عَيْنَاكَ

إن رسول الله (ﷺ) أكمل الخلق وأجملهم وأكرمهم على خالقهم، فهو الأوحد في هذه الحياة الذي أخذ بمجامع المحامد، وارتقى سلم العظمة إلى منتهاه، وبلغ من حسن الخلق مبلغاً لا يصلح معه إلا ثناء الرب عليه {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (1) لقد كان مضرب المثل في كل شيء محمود، وفعل ممدوح، وحسن جميل [إِنَّكَ لَتَتَّبِعُ الرَّحْمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ] (2)

شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وَزْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ:

وَضَمَّ إِلَالَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذَّنِ أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

(2) سورة القلم (4)

(3) أخرجه البخاري (3) واللفظ له، ومسلم (160)

وَجَدَهُ اللَّهُ يَتِيمًا فَآوَاهُ، وَفَقِيرًا فَأَغْنَاهُ، وَضَالًّا فَهَدَاهُ، وَقَرِيبَةً وَأَدْنَاهُ. وَصَفَهُ بِالرَّسَالَةِ، وَنَادَاهُ بِالنَّبِوَةِ، وَشَرَفَهُ بِالْعِبُودِيَةِ، وَأَعْطَاهُ حَتَّى أَرْضَاهُ، وَجَعَلَ آخِرَتَهُ خَيْرًا مِنْ دُنْيَاهُ. {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} (1)

رَزَقَنِي اللَّهُ عَقْلَهُ فَقَالَ: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} (2)، وَرَزَقَنِي لِسَانَهُ فَقَالَ: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} (3)، وَرَزَقَنِي كَلَامَهُ فَقَالَ: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (4)، وَرَزَقَنِي قَلْبَهُ وَفَوَادَهُ فَقَالَ: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} (5)، وَرَزَقَنِي بَصَرَهُ فَقَالَ: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} (6)، وَرَزَقَنِي أَخْلَاقَهُ فَقَالَ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (7)

رَبَّكَ رَبُّكَ، جَلَّ مِنْ رَبَّاكَ وَرَعَاكَ فِي كَنْفِ الْهُدَى وَحَمَاكَ

سَبْحَانَهُ أَعْطَاكَ فَيْضَ فَضَائِلٍ لَمْ يُعْطِهَا فِي الْعَالَمِينَ سِوَاكَ

وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) لَا تُحْصَى فَضَائِلُهُ، وَلَا تُعَدُّ شَمَائِلُهُ، فَكُلُّ شَرَفٍ لِدَاتِهِ مَنْسُوبٌ :

فَانْسَبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ .. وَانْسَبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عَظَمٍ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ

فَمِ بَلِغَ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

لَقَدْ كَانَتْ بَعْثَةُ النَّبِيِّ (ﷺ) أَعْظَمَ نِعَمٍ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ، فَقَدْ كَانَتْ بَعْثَتُهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَانَتْ نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْنَا بِهِ هِيَ أَجَلُ النِّعَمِ، فَقَدْ اسْتَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَهَدَانَا بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَرَنَا بِهِ مِنَ الْعَمَى، وَكَثَّرَنَا بِهِ مِنْ قِلَّةٍ، وَأَعَزَّنَا بِهِ بَعْدَ الذَّلَّةِ، وَأَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ النَّارِ، وَجَعَلَنَا بِفَضْلِ بَعْثَتِهِ وَاتِّبَاعِنَا لَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.. فَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا وَعَلَى الْأُمَّةِ - بَلْ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فِيهَا - أَنْ يُحِبَّ رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحِبَّتِهِ لَوَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ كَمَا قَالَ ذَلِكَ نَبِينَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). بَلْ لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ.. فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: [كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): الْآنَ يَا عُمَرُ] (8)

إِنْ مُحِبَّتُنَا لِنَبِينَا (ﷺ) يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ مُحِبَّتِنَا لِأَيِّ مَخْلُوقٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.. نَحِبُهُ أَكْثَرَ مِنْ مُحِبَّتِنَا لِلْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ، وَالْأَمْوَالِ وَالزَّوْجَاتِ، وَالْوَلَاةِ وَالْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ. كَيْفَ لَا وَكُلِّ خَيْرٍ إِنَّمَا جَاءَنَا بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ (ﷺ)؟

(2) سورة الضحى (4-5)

(3) سورة النجم (2)

(4) سورة النجم (3)

(5) سورة النجم (4)

(6) سورة النجم (11)

(7) سورة النجم (17)

(8) سورة القلم (4)

(1) رواه البخاري

وقد لخص أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذلك الأصل وأكد، حين سمع النبي (ﷺ) ينعى نفسه لأُمته ويخبرهم بدنو أجله، ويقول: (إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله). ففطن لها أبو بكر رضي الله عنه فبكى وقال: بل نفديك بأبائنا وأمهاتنا وأرواحنا وأموالنا يا رسول الله.. وأكد هذا المعنى أيضا حسان بن ثابت شاعر الرسول حين رد على من يهجو رسول الله (ﷺ) وينتقصه:

هجوَتَ محمدا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

هجوَتَ محمدا برا رؤوفا رسول الله شيمته الوفاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

وأكد أيضا زيد بن الدثنة حين أسره المشركون في بعث الرجيع وذهبوا به ليقتلوه وصلبوه على خشبة، فجاءه أبو سفيان فقال له: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عَنْقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ قال: والله ما أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةُ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي!!، فقال أبو سفيان: مَا رَأَيْتُ مِنْ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا."

عرضي فدا عرض الحبيب محمد وفداه مهجة خافقي وجناني

وفداه كل صغيرنا وكبيرنا وفداه ما نظرت له العينان

وإذا كانت محبة النبي واجبة على كل مسلم فإن من لوازم هذه المحبة تعزيره وتوقيره، وأن نتنصر له وندافع عنه ونزود عن حماه، ونمنع أي إساءة إليه، ولو كلفنا ذلك الأرواح والمهج، فنحورنا دون نحره، ونفوسنا فداء له {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} (1) لقد حاول بعض من لا خلاق له الإساءة إلى مقام رسول الله تحت مسمى حريات التعبير والرأي، وهذا غير مقبول لدى المسلمين بأي حال.

ونحن - وإن كنا نعلم أن مقام رسول الله (ﷺ) لا يضُرُّه نَعِيقُ نَاعِقٍ، ولا صَرِيخُ زَاعِقٍ - إلا أننا لا ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي أمام تلك الإساءات والسفاهات والسفالات، بل ينبغي أن ننتفض للدفاع عن رسولنا وحبيبنا ونبينا..

ومن أعظم ما ينصر به الرسول:

- 1- أن نتعلم دينه، وأن نتمسك بسنته، ونهتدي بهديه، وهو أعظم ما يغيظ الكفار.
- 2- أن نأتمر بما أمر، وننتهي عما نهى عنه وزجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع.
- 3- أن نتخلق بخلق، وأن نتأدب بأدابه، وأن نسير بين الناس بسيرته.
- 4- أن ننشر دينه وأن ندعو الناس إليه مسلمين وكافرين ما أمكننا ذلك وبكل ما أتيج.
- 5- الانتصار للنبي من كل من أساء إليه بكل ممكن ومشروع، ورد كيد الكافرين بكل وسيلة حضارية.

6- المقاطعة الاقتصادية لبضائعهم، فقد أظهرت بحمد الله أثرها وآتت بعض أكلها، فينبغي الأخذ بها كما أضروا بنا وأساءوا إلينا في نبينا وديننا. (1)

فإن تولينا عن نصره ديننا ونبينا فإننا والله نخاف أن يستبدل الله بنا قوما غيرنا، ينتصرون الله ولرسوله {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} (2)، {وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (3)

وسوف نستعرض بإذن الله تعالى في هذا الكتاب عدة موضوعات وهي :

الأول : تمهيد .

الثاني : شبهات حول النبي (ﷺ)

الثالث : شبهات حول أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها-

الرابع : شبهات حول أم المؤمنين عائشة بن أبي بكر – رضي الله عنها وعن أبيها -

الخامس : شبهات حول أم المؤمنين سودة بنت زمعة – رضي الله عنها-

فنسأل الله أن يحفظ علينا وعلى المسلمين ديننا، وأن يُبَيِّنَّا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي هَدَانَا إِلَيْهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

تمهيد

البشارات بالنبي محمد (ﷺ) في كتبهم حيث ينكرونها فيقولون

(2) خواطر دعوية من موقع اسلام ويب

(3) سورة التوبة (40)

(1) سورة محمد (38)

-أنتم تقولون إن نبيكم جاء ذكره في التوراة والإنجيل, وها هو الكتاب المقدس بين أيدينا, وليس فيه أي صفة من صفات نبيكم, لا تصريحاً ولا تلميحاً!

بفضل الله ونحن نرد عليهم فنقول: انتم تزعمون إن الإشارة بالمسيح — على نبينا وعليه الصلاة والسلام — جاءت في العهد القديم عشرات — بل مئات — المرات, فهل تستطيعون أن تأتونا ببشارة واحدة ذكرت اسمه صريحاً؟

فالحقيقة كما ان البشارات التي تتحدثون عنها, لم يأت فيها ذكر (المسيح) أو (يسوع) ولكنكم تؤكدون أنها تعنيه بقرائن أخرى, فكذا نحن نؤكد أن الكتاب المقدس الذي بين أيديكم الآن ذكر سيدنا محمداً (ﷺ) ولكن ليس باسمه صريحاً, بل تلميحاً, أما قبل تحريفه, فقد ذُكر فيه اسمه صريحاً, كما ذكر القرآن الكريم على لسان سيدنا عيسى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}(1) وها هي بعض النصوص التي بشرت بنبينا محمد (ﷺ) في الكتاب الذي بين أيديكم

- أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه. (2) إن هذه بشارة بالرسول محمد (ﷺ) وليست بالمسيح عليه السلام كما تزعمون, لأنها قالت عن هذا النبي: (مثلك) أي مثل سيدنا موسى عليه السلام, ولو أن وجه الشبه بين موسى وعيسى أنهما نبيان من بنى اسرائيل, لكانت تنطبق على أنبياء كثيرين ممن جاءوا بعد موسى عليه السلام, مثل: سليمان, وإشعيا, ودانيال, وحزقيال, وهوشع... إلى آخرهم, ولكن سيدنا محمد (ﷺ) هو الذي مثل سيدنا موسى, وليس المسيح.. بدليل: إن المسيح عليه السلام لا يشبه موسى بمقتضى عقيدتكم, لأنكم تزعمون أن المسيح هو الإله المتجسد على هيئة البشر, ولكنكم لا تقولون إن موسى عليه السلام كان إلهاً.

أنتم تعتقدون أن المسيح عليه السلام ضحى بنفسه من أجل خطايا البشر, ولا تعتقدون ذلك في موسى عليه السلام كان لموسى عليه السلام أب وأم كما كان لمحمد (ﷺ) أما المسيح عليه السلام فلم يكن له أب. محمد (ﷺ) وموسى عليه السلام تزوجا وأنجبا, أما المسيح عليه السلام فظل عزباً طوال حياته قبل رفعه. محمد (ﷺ) وموسى — عليه السلام — هاجرا بشعبيهما بسبب ما لقياه وقومهما من أذى الكفار واضطهادهم, ولم يهاجر المسيح عليه السلام بأتباعه.

محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام كانا نبيين مثلما كانا زعيمين, أي أنهما كانا يحكما شعبيهما, ولهما سلطان عليهما, بحيث يوقعان العقوبة على المخطئ, كما جاء عن موسى في الكتاب المقدس أمره بإعدام عبدة العجل. (3) أما المسيح عليه السلام فكان نبياً فقط, ولم يحكم شعبه, بل كان يأمره بطاعة ولّى أمره: حيث يقولون في العهد الجديد,،،، حينئذ ذهب الفريسيون وتشاؤروا لكي يصطادوه بكلمة... فقل لنا ماذا تظن. أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا... فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله. (4)

(2) سورة الصف (6)

(3) (تشية 18: 19-18)

(4) (خروج 32: 26-29)

(5) (متي 22: 15-21)

كما ان المسيح عليه السلام صرّح بأن مملكته ليست على الأرض: أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا. (1)

محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام أتيا بشريعة جديدة وأحكام جديدة لشعبيهما، أما المسيح عليه السلام فلم يأت بشريعة جديدة ولا بأحكام جديدة، بل كان يؤكد لهم أنه لم يأت لينقض الناموس (أي التوراة) بل ليكملّه. محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام ماتا ميتة طبيعية مثل جميع البشر، أما المسيح عليه السلام فقد رفعه الله إلي السماء حياً، وأنتم تعتقدون أنه صُلب، ولا تعتقدون ذلك في موسى عليه السلام

محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام يرقدان في قبريهما في الأرض، أما المسيح عليه السلام فأنتم تقولون إنه: منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله. (2)

أنتم تعتقدون أن المسيح عليه السلام مكث في قبره ثلاثة أيام ثم رُفِعَ، ولكن موسى عليه السلام لم يفعل به ذلك.

وهناك أمور أخرى – وهي الأهم – تثبت أن هذه البشارة خاصة بسيدنا محمد (ﷺ) غير كونه مثل موسى عليه السلام فلم تُقَلِّ البشارة (نبيّاً من أنفسهم) حتى تظنوا أن هذا النبي من بنى إسرائيل (أي من بنى يعقوب بن إسحاق – على نبينا وعليهما الصلاة والسلام – لأن إسرائيل هو يعقوب) ولكنها قالت: (من وسط إخوتهم) وهم العرب أبناء إسماعيل، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

والكتاب المقدس نفسه يثبت أن أبناء إسماعيل إخوة لأبناء إسحاق: حيث يقولون ،،، فولدت هاجر لأبرام ابناً. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. (3) (أبرام معناه إبراهيم) وأمام جميع إخوته يسكن. (4)

وهذه سنو حياة إسماعيل. مئة وسبع وثلاثون سنة. وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه. وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور. أمام جميع إخوته نزل. (5)

وقد قالت البشارة: (وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) وهذا ينطبق على سيدنا محمد (ﷺ) لأنه عندما جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء وقال له مرتين: {اقْرَأْ} ورد عليه (ﷺ) في كل منهما بقوله: ((ما أنا بقارئ)) فقال له في الثالثة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1} الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} {6} عَلَّمَ الرُّسُولَ (ﷺ) أن أمر جبريل له بالقراءة هو أن يردد هذا القول خلفه، لا أن يقرأ من كتاب، وهذا ما دلّت عليه بشارة الكتاب المقدس (وأجعل كلامي في فمه) أي أنه ينطق بكلام

(2) (يوحنا 18: 36)

(3) (لوقا 22: 69)

(4) (تكوين 16: 15)

(5) (تكوين 16: 12)

(6) (تكوين 25: 17-18)

(7) سورة العلق (1-5)

الله. ثم إن الكتاب المقدس نفسه ينفي مجيء نبي من بنى إسرائيل مثل موسى، فيقول: ولم يَقُمْ بَعْدُ نبي في إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه. (1)

وهناك بشارات أخرى بالرسول محمد (ﷺ) في الكتاب المقدس، ومنها: أو يُدْفَع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويُقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة. (2) وهذا النص واضح الدلالة على أنه سيدنا محمد (ﷺ). فهذا دليل على انه نبي امي كما اخبر القرآن الكريم

ونص اخر ،،، جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعين وتلألاً من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. (3)

(جاء الرب) أي جاء ملاك الرب بالوحي، وهذا يعنى نبوة سيدنا موسى عليه السلام ثم نبوة سيدنا عيسى عليه السلام ثم نبوة سيدنا محمد – صلوات الله وسلامه عليهم – حسب ترتيبهم الزمنى، لأن (سيناء) هي مهبط الوحي على سيدنا موسى، و(سعين) مهبط الوحي على سيدنا عيسى، و(فاران) مهبط الوحي على سيدنا المكرمة) أن الكتاب المقدس ذكر أن سيدنا إسماعيل سكن فيها: فيقولون وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامى قوس. وسكن في بريّة فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر. (4)

ولكنكم تغالطون أنفسكم وتقولون إن (فاران) هي (إيلات) مع أن (إيلات) لم يُبْعَث فيها نبي قط. ونلاحظ أن النَّص قال: (تلألاً من جبال فاران) وقد أنزل الوحي على سيدنا محمد (ﷺ) وهو في غار جراء على جبل النور، وكلمة (تلألاً) أقوى من (جاء) و(أشرق) أي أن نور رسالة سيدنا محمد (ﷺ) أقوى من سابقتها، وهناك دليل آخر في هذا النَّص (أي: تثنية 33: 1-2) ولكنه في الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، حيث تقول البشارة:

The LORD came from Sinai, and rose up from Seir unto them; he shined forth from mount Paran, and he came with ten thousands of saints

أي أن الذى تلألاً من جبال فاران أتى ومعه عشرة آلاف قديس، وهي إشارة لدخول الرسول (ﷺ) إلى جبال فاران (أي جبال مكة) عام الفتح، ومعه عشرة آلاف من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ولكنكم أخفيتم هذا النَّص من الترجمة العربية، حتى لا يكون واضح الدلالة على نبوة سيدنا محمد (ﷺ)

يقولون في الكتاب المقدس سفر حبقوق

- الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سيلاه. جلاله غطى السماوات والأرض امتلات من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع وهناك استتار قدرته. قُدَّامه ذهب الوَبْأ وعند رجليه خرجت الحُمَّى. (5)

(2) (تثنية 34: 10)

(3) (إشعيا 29: 12)

(4) (تثنية 33: 2)

(5) (تكوين 21: 20-21)

(6) (حبقوق 3: 3-5)

وقد ذكرنا أن فاران هي مكة، وأظن أنه لا يتمارى اثنان في أن سيدنا محمد (ﷺ) وأُمَّتُه هم أكثر أهل الأرض تسبيحاً لله جل وعلا، ومعلوم أن الرسول (ﷺ) عندما هاجر إلى المدينة المنورة هو وأصحابه رضوان الله عليهم كان بها وباء أصاب بعضهم بالحُمى الشديدة، فدعا رسول الله (ﷺ) ربه عز وجل أن ينقل الوباء إلى خارج المدينة، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه.

عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت: قَدِمْنَا المدينة وهي وَبِيئةٌ، فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله (ﷺ) شكوى أصحابه قال: ((اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ مكة أو أشدَّ ، وصَحَّحْها ، وبارك لنا في صاعِها ومُدِّها ، وَحَوِّلْ حُمَاهَا إلى الجُحْفَةِ)) (1)

وقال رسول الله (ﷺ) ((رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمَهْيَعَةٍ - وهي الجُحْفَةُ - فأولُتُ أن وباء المدينة نُقِلَ إليها)) (2)

البشارة الثانية: وَحَى من جهة بلاد العرب. في الوَعْرِ في بلاد العرب تَبَيَّتَيْنِ يا قوافل الددانيين. هاتوا ماء لمُلَاقاة العطشان يا سكان أرض تَيْمَاء وأفوا الهارب بِخُبْرِهِ. فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لى السيد في مدة سنة كَسَنَةُ الأجير يَفْنَى كل مجد قيِّدار وبقية عدد قِسَى أبطال بنى قيِّدار تَقِلْ لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم. (3)

دعونا نسألکم: أي وَحَى هذا الذى جاء من جهة بلاد العرب إن لم يكن الوحى الذى أنزل على الرسول (ﷺ)؟ وهل هناك أي نبي من أنبياء بنى إسرائيل خرج من بلاد العرب؟

ربما يلتبس الأمر على البعض ويظن أن خروج أنبياء بنى إسرائيل - صلوات الله وسلامه عليهم - من أرض فلسطين يُعَدُّ خروجاً من بلاد العرب، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإن فلسطين وما جاورها من الدَّول كانت - وما زالت - تُسمَّى ببلاد الشام، أما بلاد العرب فهي تُطلَق على بلاد الجزيرة العربية.

وهذا النَّص واضح الدلالة على البشارة بالرسول (ﷺ) وهجرته إلى المدينة المنورة هروباً من اضطهاد مكة وتعذيبها له ولأصحابه رضوان الله عليهم وذلك لأن (تَيْمَاء) هي أرض تقع شمال المدينة المنورة، والددانيون هم أبناء سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بدليل ما جاء في الكتاب المقدس نفسه: وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قَطُورَة. فولدت له زَمْران وَيَفْشَان وَمَدَّان ومِذْيَان وَيَشْبَاق وشُوحاً. وولد يَفْشَان شَبَا ودَدَّان. (4) أما بنى قيِّدار فهم أجداد العرب، من نسل سيدنا إسماعيل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بدليل من الكتاب المقدس أيضاً، ألا وهو: وهذه أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم. نبايوت بَكْر إسماعيل وقيِّدار وأدْبئِيل ومبسام. (5)

ومجد قيِّدار الذى ذُكِرَ في النَّص هو مجد قريش، لأن قريش كانت بمثابة العاصمة للجزيرة العربية، وكانت لها مكانتها العظيمة - التي لا يمارى فيها اثنان - بين قبائل العرب، وذلك - كما هو معلوم - لوجود بيت الله الحرام والكعبة المشرفة فيها، وقد جاء في النَّص: (في مدة سنة

(2) [صحيح مسلم]

(3) [صحيح البخاري]

(4) (إشعيا 21: 13-17)

(5) (تكوين 25: 3-1)

(1) (تكوين 25: 13)

كسنة الأجير يَفنى كل مجد قيدير) وهذا ما حدث بالفعل, فقد هزم الله قريشاً في موقعة بدر بعد عام من الهجرة, وفقدت مكانتها وهيبتها بين القبائل العربية, وقُتلَ فيها العشرات من وجَّهَاء القوم وأفضل فرسانهم, وذلك معنى: (وبقية عدد قسيّ أبطال بنى قيدير تَقَل)

البشارة الثالثة: هُوذا عبدى الذى أَعْضُدُهُ مُختارى الذى سُرَّت به نفسى. وضعتُ روى عليه فيُخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته. قسبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يُطفئ. إلى الأمان يُخرج الحق. لا يَكِل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته. (1)

أنتم تقولون إن هذه البشارة خاصة بالمسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – ولكنكم تغالطون أنفسكم, لأنكم لا تعترفون بأن السيد المسيح عبد, بل تزعمون أنه الله أو ابن الله, كما أن البشارة تتحدث عن مجيء من يختاره الله ليُخرج الحق للأمم, وينتظر العالم شريعته, والمسيح لم يُرسل إلى جميع الأمم, بدليل قوله: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. (2)

أما الرسول (ﷺ) فهو الذى أرسل لجميع الأمم {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (3) وشريعته هي التي ستسود العالم بعز عزيز أو بذل ذليل, عزاً يُعز الله به الإسلام وأهله, ودُلاً يُذل الله به الشرك وأهله.

البشارة الرابعة: غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومُدنها صوتها الديار التي سكنها قيدير. لتترنم سگان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليُعطوا الرب مجداً ويُخبروا بتسبيحه في الجزائر. (4) وقد ذكرنا أن أهل قيدير هم أهل مكة, وفي مكة تُرفع الأصوات بالتكبير والتهليل والتحميد, وخصوصاً في الحج والعمرة والأذان والأعياد, أما من يظنون أن هذه البشارة خاصة بالمسيح عليه السلام, فنسألهم ونقول لهم: هل أتى المسيح عليه السلام بتسبيحات جديدة, أم أن عبادته وشريعته كانت على نهج رسالة سيدنا موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام؟ ولو كان جاء بتسبيحات جديدة.. فهل رفع أهل قيدير أصواتهم بها؟

البشارة الخامسة: غنوا لله رنموا لاسمِه. أعِدُّوا طريقاً للراكب في القفار باسمه ياه واهتفوا أمامه. أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله في مَسْكَن قُدْسِه. (5) (باسمه ياه) أي باسم الله, لأن كلمة (ياه) تعنى في بعض نسخ الكتاب المقدس (الله) والرسول (ﷺ) أبو اليتامى, سواء أولاده الذين كانوا من السيدة خديجة – رضى الله عنها – أو من تكفل برعايتهم بعد موت آبائهم, مثل أولاد زوجته أم سلمة – رضى الله عنها – وأولاد سيدنا جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه بعد استشهاد أبيهم في غزوة مؤتة, كما أنه (ﷺ) كانت كل زوجاته – رضى الله عنهن – أرامل, ما عدا السيدة عائشة, فهو قاضيهن, أي الذى ينصفهن, ويقضى في أمرهن بالحق, وقد جعل الله بيته داخل مسجده (الله في مَسْكَن قُدْسِه) والرسول (ﷺ) – بالإضافة لكفالاته لليتامى – فقد أوصى بهم في أحاديث كثيرة, منها قوله: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)) وأشار بالسبابة والوسطى (أي أصبعيه السبابة والوسطى) وفرَّج بينهما شيئاً [صحيح البخارى] وأوصى أيضاً

(2) (إشعيا 42: 4-1)

(3) (متى 24: 15)

(4) [الأنبياء: 107]

(5) (إشعيا 42: 10-12)

(6) (مزمو 68: 4-5)

بالأرامل, فقال : ((الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله, أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل)) [صحيح البخارى] ونحن نعلم أن اليتيم هو الذى فقد أباه, ولكن عندما يقال: (أبو اليتامى) ينصرف الذهن إلى رجل ماتت زوجته, وتركت له أولاداً, أو تكفل بيتامى آخرين, والأمران تحققاً للرسول (ﷺ) هذا بالإضافة لما في النص من تلميح لهجرته (ﷺ) (أعدوا طريقاً للراكب في القفار) قال رسول الله (ﷺ): (إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى, كمثل رجل بنى بيتاً, فأحسنه وأجمله, إلا موضع لبنة من زاوية, فجعل الناس يطوفون به, ويعجبون له, ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة, فأنا اللبنة, وأنا خاتم النبيين) (1)

البشارة السادسة: وقد جاء في الكتاب المقدس على لسان سيدنا داود –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– ما يوافق هذا الكلام: الحجر الذى رفضه البنّائون قد صار رأس الزاوية. من قيل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. (2) إن هذا معناه أن جميع أنبياء بنى إسرائيل – على نبينا وعليهم الصلاة والسلام – تشير إليهم الحجارة الكثيرة في بناء بيت الرب, أما الحجر الذى هو رأس الزاوية, والذى يمسك البناء كله, فهو – وإن كان حجراً واحداً – إلا أنه هو الأهم والأعظم أثراً في إقامة هذا البناء وتماسكه, وهو يشير بذلك إلى سيدنا محمد (ﷺ) باعتباره خاتم النبيين, وبرسالته يتم البناء ويكتمل. ولقد ظن النصارى أن هذه البشارة خاصة بالمسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – في حين أن المسيح نفسه قال: اسمعوا مثلاً آخر. كان إنسان رب بيت غرس كزماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى بُرجاً وسلّمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابنى. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث. هلمّوا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين. قالوا له. أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتاب. الحجر الذى رفضه البنّائون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنَزَّغ منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه. (3)

في هذا النص يضرب المسيح عليه السلام مثلاً – {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} – للأنبياء الذين أرسلهم الله جل وعلا لهداية خلقه, فجلداهم المكذبون بهم, وقتلوههم, ورجموهم, ثم أرسل الله إليهم المسيح, فقتلوه هو أيضاً بزعمهم (ابن الله في الكتاب المقدس معناها المؤمن بالله, ثم أخبرهم المسيح أن (الملوكوت) أي (النبوة) ستُنَزَّع منهم (أي من بنى إسرائيل) وتُعطى لأمة أخرى تقوم بحقها أفضل ممن سبقها, وأشار إلى الحجر الذى صار رأس الزاوية, والذى جاء ذكره في بشارة سيدنا داود – وهو محمد (ﷺ) – والذى لا يستقيم البناء بغير وجوده, وأن (من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه) وهذه إشارة لجهاده (ﷺ) في سبيل الله, وإلى قوة الإسلام, وأن من يعاديه سوف يسحقه الله. وقد حدث هذا عندما استطاع المسلمون الأوائل – رغم قِلَّتِهِم – الانتصار (بإذن الله) على أعظم قوتين في ذلك الحين, وهما الفرس والروم.

(2) [صحيح البخاري]

(3) (مزمو 23-22: 118)

(1) (متى 21: 33-44)

إن تنبؤ المسيح بقوة النبي (ﷺ) وأمته، يوافق ما جاء في بشارة سيدنا موسى التي قال فيها (ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه) أي أن الله سبحانه وتعالى سينتقم ممن لا يطيع هذا النبي المبارك (ﷺ).

لقد تبين لنا من كلام المسيح – عليه السلام – أن عبارة (ملكوت الله) تعني (النبوة) حتى لا يقول مجادل: إنها تعني يوم القيامة. إذ كيف يقول عن يوم القيامة (يُنزَع منكم) ؟ ومن ثم فإن النصوص التالية تؤكد هذا المعنى، أي أن النبوة ستصير لنبي آخر بعد المسيح عليه السلام، ألا وهو رسولنا (ﷺ)

جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله. ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل. (1) (يكرز) معناها (يُبشِّر)

فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. (2)

فصلوا أنتم هكذا. أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. (3)

قد جاءت بشارات أخرى بالرسول (ﷺ) في الكتاب المقدس باسم (المُعزّي) أو (روح الحق) أو (الروح القدس) أو (الكامل) ومنها ما يلي:

البشارة السابعة: الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعون ليس لي بل للآب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المُعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم (4) و(المُعزّي) معناه (المُواسي) أي الذي يواسي أتباعه، ويُصبرهم على ما يلاقونه من الأذى. والرسول (ﷺ) هو الذي علمنا كل شيء، أما تذكيره (ﷺ) بما قاله المسيح – عليه السلام – فقد جاء في آيات كثيرة معلومة. ومتى جاء المُعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء. (5) والرسول (ﷺ) يشهد بنبوة المسيح عليه السلام، ويشهد للحواريين أتباعه بأنهم آمنوا به ونصروه.

البشارة الثامنة: لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزّي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم... وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذلك يُمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. (6) هذا النص يوضح أن (المُعزّي) أفضل من المسيح، لأنه قال: (خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزّي) ويوضح أيضاً أن (المُعزّي) يرشدنا إلى جميع الحق، وهذا لا يحتاج لبيان من سيرته عليه الصلاة والسلام، ويوضح أيضاً أنه يخبرنا بما سيأتي، ولا شك أن الآيات والأحاديث أخبرتنا بغيبات كثيرة، لا مجال لذكرها لكثرتها، وأخيراً يوضح النص أن (المُعزّي) يمجد المسيح عليه السلام والرسول (ﷺ) مجد جميع الأنبياء

(2) (مرقس 1: 14-15)

(3) (لوقا 11: 2)

(4) (متي 6: 9-10)

(5) (يوحنا 14: 26-24)

(6) (يوحنا 15: 26-27)

(7) (يوحنا 16: 7-14)

والمرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – ورغم هذا الوضوح في مدلول النصوص، إلا أنكم تزعمون أن (المُعزّي) هو روح القدس، وهذا القول مردود عليكم، لأن روح القدس كان ملازماً للمسيح عليه السلام، أما المعزّي فتقول النصوص إنه سيأتي بعده، وروح القدس بالطبع ليس أفضل من المسيح، ولكن النصوص قالت إن المعزّي أفضل منه، كما أن روح القدس لا يتكلم كما يتكلم المعزّي، بل هو – كما في عقيدتكم – روح المسيح التي يحيا بها.

البشارة التاسعة: لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ. ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يُبطل ما هو بعض⁽¹⁾. فمن هو الكامل الذي شملت رسالته كل الرسائل قبله إن لم يكن الرسول (ﷺ)؟ ومن الذي تكون رسالته كاملة لجميع الأمم؟ ومن الذي لم تترك رسالته صغيرة ولا كبيرة إلا وتكلمت عنها؟

إن هذا النص معناه أن علم من قبله وتنبؤاتهم لم تكن كاملة، حتى يأتي (ﷺ) فتكون رسالته الكاملة ناسخة لما قبلها، وهو معنى (يُبطل ما هو بعض).

(1) (الرسالة الأولى إلي كورنثوس 13: 9-10)

شبهات حول الرسول (ﷺ)

- 1- الرد على شبهة الطعن في نسب النبي (ﷺ).
- 2- الرد على شبهة التشكيك في نبوة النبي (ﷺ).
- 3- الرد على شبهة أمية النبي (ﷺ).
- 4- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) بعث للعرب فقط.
- 5- الرد على شبهة أن نسب موسى وعيسى - عليهما السلام - أفضل من نسب النبي (ﷺ).
- 6- الرد على شبهة أن القرآن يقر أن عيسى - عليه السلام - أفضل من محمد (ﷺ).
- 7- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) جاءته الرسالة وهو ابن أربعين، والانبياء من قبله جاءتهم الرسالة في الصغر.
- 8- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) وضع في القرآن ما يوافق هواه.
- 9- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) له قوة أربعين نبياً .
- 10- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان عاشق للنساء.
- 11- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) تزوج بطفلة عمرها 6 سنوات.
- 12- الرد على شبهة قتل النبي (ﷺ) للنساء.
- 13- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان يطوف على نساء أجنيات عنه.
- 14- الرد على شبهة زوج النبي (ﷺ) من زينب بنت جحش - رضي الله عنها -.
- 15- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) اضطجع مع زوجة عمه أبي طالب في قبرها.
- 16- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) نصر بالعرب مسيرة شهر.
- 17- الرد على شبهة عدم انكار النبي (ﷺ) على قتل زيد بن ثابت لامرأة العجوز حين قتلها قتلاً عنيفاً.
- 18- الرد على شبهة قتل النبي (ﷺ) لأسير لا يحل قتله مخالفاً بذلك الأعراف الحربية.
- 19- الرد على شبهة تمثيل وتشويه النبي (ﷺ) للجثث مع أنه كان ينهي عن ذلك.
- 20- الرد على شبهة قتال النبي (ﷺ) لليهود وتردهم من جزيرة العرب بعد عرض الإسلام عليهم.
- 21- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان من الحكام الدكتاتوريين.
- 22- الرد على شبهة التشكيك في رحمة النبي (ﷺ) حين ارد احراق الناس اللذين لم يصلوا بالنار.
- 23- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) اشجع الشجعان ومع ذلك خرج للهجرة متخفياً، وخرج عمر - رضي اله عنه - علانية.
- 24- الرد على شبهة التشكيك في مشاهدة النبي (ﷺ) لجبريل - عليه السلام - في غار حراء.
- 25- الرد على شبهة التشكيك في قول النبي (ﷺ): " أن تلد الأمة ربّتها" في حديث علامات الساعة.
- 26- الرد على شبهة أن القرآن ذكر أن النبي (ﷺ) على خلق عظيم فلماذا عبس في وجه الرجل الأعمى؟
- 27- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان متواضعاً فكيف نفى القرآن عنه هذه الصفة؟
- 28- الرد على شبهة التشكيك في رحلة المعراج فمن الذين رأهم النبي (ﷺ) في الجنة والنار ولم تقم القيامة بعد؟
- 29- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان يمنع سكان مكة من الحج بحجة أنه المشركين نجس.
- 30- الرد على شبهة أمر النبي (ﷺ) الصحابة بالسب والشتم كما في قوله: " إذا رأيتم الرجل يتعرّى بعزاء الجاهلية, فَأَعْضُوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا".
- 31- الرد على شبهة تقسيم الكذب إلى أبيض وأسود.
- 32- الرد على شبهة كيفية الجمع بين حديث " أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة" وحديث " إن أول ما يُحكّم بين العباد في الدماء".
- 33- الرد على شبهة منع النبي (ﷺ) لعلي - رضي الله عنه - من الزواج بأخرى مع أن الشرع أجاز ذلك.

- 34- الرد على شبهة شرب النبي (ﷺ) للنبيذ وأمر بشربه.
- 35- الرد على شبهة خروج النبي (ﷺ) لقطع الطريق على قافلة أبي سفيان.
- 36- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): " أن الأمراض تكفير للذنوب" فمل بال الأطفال
- 37- الرد على شبهة حنث النبي (ﷺ) في اليمين.
- 38- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): "أشد الناس عذاباً يوم القيامة: المصوِّرون...."
- 39- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): " ذاك رجل بال الشيطان في أذنه" في حق الرجل الذي نام الليل ولم يصل الفريضة.
- 40- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) حضن زيد بن حارثة - ضي الله عنه - وزيد عريان.
- 41- الرد على شبهة ارضاع الكبير.
- 42- الرد على شبهة تبرئة القرآن للنبي (ﷺ) من سرقة الشملة التي غلها من المغانم يوم بدر.
- 43- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): " يقطع الصلاة الحمار, والمرأة, والكلب"
- 44- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): " لعلك قبّلت, أو غمّزت, أو نظرت" في حديث ماعز فهل يصح أن ينطق نبي بهذه الكلمات؟
- 45- الرد على شبهة كيف تعرفون المرأة الودود أي المتحبة وأنتم تحرمون الاختلاط؟
- 46- الرد على شبهة أن الصحابة كانوا يقتتلون على فضل وضوء النبي (ﷺ) ونخامته يوم الحديبية.
- 47- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) أصاب من خبير حماراً وكان يتكلم معه.
- 48- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) فرض الإسلام على القبائل العربية بالإكراه.
- 49- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): " إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر".

وسوف نستعرض هذه الشبهات ونرد عليها على النحو التالي:-

1- الرد على شبهة الطعن في نسب النبي (ﷺ).

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد، في الجزء الأول، أن عبد الله ابن عبد المطلب تزوج أمانة بنت وهب أم نبيكم، وفي الوقت نفسه تزوج عبد المطلب من ابنة عمها هالة بنت وهيب، فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة عم نبيكم. ثم قال في (الجزء الثالث) باب (البدرين: طبقات البدرين من المهاجرين) إن حمزة كان مُعَلِّماً يوم بدر بريشة نعامة... إلى أن قال: وَقُتِلَ رحمه الله يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وهو يومئذ ابن تسع وخمسين سنة، كان أَسَنَ من رسول الله (ﷺ) بأربع سنين. إن هذا يعني أن أم نبيكم ولدت من رجل آخر بعد أربع سنوات من زواجها بعبد الله.

وللرد على هؤلاء السفلة نقول :-

أولاً: لقد قال النبي (ﷺ) : ((خرجت من لَدُنْ آدم من نكاح غير سِفَاح))⁽¹⁾

ثانياً: إن هذا كتاب تاريخ، ونحن لا نأخذ ديننا من كتب تاريخية، بل من القرآن والسنة الصحيحة، وما يوفقهما.

ثالثاً: الروايتان قائلهما محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي، وقد ذكرنا من هو هذا الرجل الكذاب في الرد على الشبهة السابقة.

وعلى هذا فالروايتان بهما ضعف، لأن الراوي متروك الحديث، ومُتَّهَم في صدقه وروايته.

لكن هناك طُرقاً أخرى تؤكد الرواية الثانية، وهي أن سيدنا حمزة رضى الله عنه كان أَسَنَ من الرسول (ﷺ) بعامين أو 4 سنوات، وهي روايات صحيحة، وهذا لأن زواج عبد المطلب كان قبل زواج ابنه عبد الله والد الرسول (ﷺ) بأعوام كثيرة، وإن كان ميلاد سيدنا حمزة تم قبل ميلاد الرسول (ﷺ) بعامين أو بأربع سنوات. فليس شرطاً أن تكون أم سيدنا حمزة قد ولدت مباشرة بعد زواجها. وذكر البكائي عن ابن إسحاق قال: كان حمزة أَسَنَ من رسول الله (ﷺ) بسنتين، كما ورد في كتاب (الاستيعاب في تمييز الأصحاب) وكون ثويبة قد أرضعته كما أرضعت الرسول (ﷺ) فهذا لا يعني أن الرضاعة كانت في زمن واحد، ولكن المهم أنهما رضعا من ثدى واحد.

ونحن نتساءل: لو كان هذا الادّعاء صحيحاً – على سبيل الافتراض – هل كان أعداؤه من المشركين وغيرهم سيسكتون على هذا الأمر ولا يعيرونه به؟ إن العرب كانوا مشهورين بمعرفة الأنساب، فلو كان في نسب أي شيء يشينه (ﷺ) لعَيَّرُوا به أهله منذ صِغَرِهِ، ولَمَّا انتظروا حتى يعيرونه به في كِبَرِهِ.

هذا ردنا واجابتنا بفضل الله فعليكم ان تجيبوا عما جاء في كتابكم المقدس

ثم إن الكتاب المقدس جعل المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – من نسل زنى مرتين في (2) إذ جعله من نسل فارص بن ثامار، وثامار هذه هي التي زنت مع حماها يهوذا (بزعمهم) فأنجبت له فارص وزارح، مع أن يهوذا من الأسباط أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (على نبينا وعليهم الصلاة والسلام) ثم جعله ولد زنى من ناحية أخرى، إذ جعله من نسل سيدنا سليمان – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – الذين زعموا أنه وُلِدَ من زنى والده سيدنا داود مع بثشبع

(2) [صحيح الجامع:3223]

(1) (متي: 1: 17-1)

امرأة أوريا الحثي، وقد ذكرنا ملخص هذه القصة المزعومة على سيدنا داود – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – في الرد على شبهات سابقة

أما ما ورد بشأن ولادة فارص من الزنى، فهو كما يلي: فأخبرت ثامار وقيل لها هُودا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطّت ببرقع وتلفّفت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة... فنظرها يهوذا وحسبها زانية... فمال إليها على الطريق وقال هاتى أدخل عليك. لأنه لم يعلم أنها كُنته... ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كُنتك. وها هي حُبلى أيضاً من الزنا... وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان... فدُعِيَ اسمه فارص وبعد ذلك خرج أخوه... فدُعِيَ اسمه زارح⁽¹⁾ (كُنته) أي زوجة ابنه.

كما أن الكتاب المقدس جعله في نصوص أخرى من نسل 4 زانيات (على حدّ تحريفكم) وهُنَّ ثامار وبثشبع وراعوث وراحاب.

ونريد أن نسألكم.. ألسنتم تؤمنون مثلنا أن المسيح (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) ليس له أب من البشر؟

إذن فلماذا نسبتموه ليوسف النجار في أول صفحة من الإنجيل، وهو إنجيل متى؟ أليس هذا يوافق ما قاله عنه اليهود؟ ألم يكن الأجدر بكم أن تذكروا نسب أمه، بدلاً من ذكر نسب يوسف النجار؟

2- الرد على شبهة التشكيك في نبوة النبي (ﷺ).

ذكر ابن هشام في السيرة أن نبيكم كان يشك في ما رآه، هل هو ملك أم شيطان؟ فطلب من خديجة أن تكشف له عن حقيقته، فأجلسته على فخذه، وكشفت شعرها، وعندها ذهب عنه ما رآه، أخبرته أنه ملك، فهل ما فعلته دليل على نبوته؟

ولهؤلاء نقول: لقد جاءت هذه الرواية في سيرة ابن هشام عن طريقين كلاهما لا يُحتجّ به، لأنه ضعيف، فالرواية الأولى عن طريق ابن إسحاق قال: حدثني إسماعيل بن أبي حكيم آل الزبير أنه حَدَّثَ عن خديجة – رضى الله عنها – أنها قالت لرسول الله (ﷺ): أي ابن عم..

أنتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرنى به، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله (ﷺ) لخديجة: يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى، قال فقام رسول الله (ﷺ) فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت فَحَوَّلَ فاجلس على فخذى اليمنى، قال: فتحول رسول الله (ﷺ) فجلس على فخذه اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فَتَحَوَّلَ فاجلس في حجرى، قال: فتحول رسول الله (ﷺ) فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فَحَسَرَتِ وألقت خمارها ورسول الله (ﷺ) جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم أثبت وأبشر، فوالله إنه لملك، وما هذا بشيطان.

الطريق الثانية: عن ابن إسحاق قال: حدثت عبد الله بن حسن، فقال قد سمعت أُمى بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول الله (ﷺ) بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول الله (ﷺ): إن هذا لملك، وما هو بشيطان.

(1) (تكوين 38: 13-30)

وإليك الدليل على ضعف الروایتين: الرواية الأولى بها انقطاع، لأن اسماعيل بن حكيم لم يسمع من السيدة خديجة - رضى الله عنها - وقال إنه (حَدَّثَ) ولم يذكر مَنْ حَدَّثَهُ، وهذا كافٍ لإبطال هذا الطريق. أما الرواية الثانية فهي عن فاطمة بنت حسين عن خديجة، وفاطمة هي بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنها وهي تابعة وَلِدَتْ بعد وفاة السيدة خديجة بنحو ثلاث وأربعين سنة، ففاطمة لم تسمع من خديجة، فيصبح هذا من المراسيل، وهذا كافٍ لتضعيف هذا الطريق أيضاً، وحتى الحسين رضى الله عنه لم يرَ السيدة خديجة، لأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، والحسين ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة، أي بعد وفاتها بسبع سنين، فإذا كان لم يسمع منها فكيف بابنته؟

وبفرض صحة هذين الحديثين، فإن هذا كان في بادئ الأمر، عندما جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء، وهو وحده وليس معه أحد، فخاف على نفسه أن يكون أصابه شيء من الجن. ثم إن الرسول (ﷺ) لم يطلب من السيدة خديجة أن تكشف له عنه، ولكنها هي التي طلبت منه ذلك، كما يتضح من الرواية.

ثم إنكم قد تعجبتم من كشف الشعر أمام الملك كدليل على النبوة، رغم ضعف الروایتين، مع أن كتابكم المقدس يقول إن أول آية ظهرت على يد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تحويل الماء إلى خمر، فأيهما أكثر إثارة لتعجبكم ودهشتكم؟، والله أعلم.

3- الرد على شبهة أمية النبي (ﷺ).

أنتم تقولون إن نبيكم أفضل الأنبياء، مع أنه كان أمياً، فأى أفضلية في هذه الأمية؟ وهل تفضلون الأمي على المتعلم، باعتبار الأمية ميزة عندكم؟

وللرد نقول،، نحن لا نفضل الأمية، ولا نفتخر بها، إذن لتخلفت أمتنا عن ركب التقدم والحضارة، كما حدث اليوم في كثير من البلدان الإسلامية، ولكن أمية الرسول (ﷺ) كانت ميزة، لأن الذى علمه هو الله، ولم يعلمه أحد من البشر، فكل متعلم له معلم، فالذى حصل على الدكتوراه في أي مجال من مجالات العلم - ولو في الذرة - فإن معلمه بشر، يصيب ويخطئ، أما رسول الله (ﷺ) فقد علمه الله سبحانه وتعالى (حتى لا يتفاخر أحد بأتمته ويقول أنا أمي مثل الرسول) وقد مر بنا أن الرسول (ﷺ) كان يفك الأسير المشترك مقابل تعليمه القراءة والكتابة لعشرة من المسلمين. ولو علمه القراءة والكتابة أحد من البشر، لقالوا إنه هو الذى علمه القرآن أيضاً، فقد قالوها وهو أمي، فكيف لو تعلم من غيره؟ كما أنه لا يخفى على أحد أن أول آية نزلت على رسول الله (ﷺ) هي {أقرأ}، والله أعلم.

4- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) بعث للعرب فقط.

يقول المغرضون: إن نبيكم لم يُبعث إلا للعرب، بدليل قول القرآن: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} (1) {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} (2) {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} (3) {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} (4) {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (5) فهل من عدل الإله أن يطلب من أهل الكتاب أن يؤمنوا بنبي لم يُرسل إليهم؟

وللرد نقول ،، غالباً ما يختار الخصم ما يخدمه – في ظاهر الأمر – من الأدلة، ويخفي ما عداها، وإلا- فأخبروني ماذا تعنى هذه الآية: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (6)

إن من أدلة عالمية رسالة الرسول (ﷺ) قول الله تبارك وتعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (7)

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (8)

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (9)

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (10)

{وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} (11)

{لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} (12)

وقد مر بنا أن {أُمَّ الْقُرَى} هي مكة {وَمَنْ حَوْلَهَا} جميع الياسة

قال رسول الله (ﷺ): ((أُعْطِيتُ خمساً لم يُعْطَهنَّ أحد من الأنبياء قبلي: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وطمهوراً، فأَيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُجِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ولم تجل لأحد قبلي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكان النبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)) (13)

(2) [يوسف:2]

(3) [إبراهيم:4]

(4) [الجمعة:2]

(5) [السجدة:3]

(6) [الشعراء:214]

(7) [آل عمران:64]

(8) [الأعراف:158]

(9) [سبأ:28]

(10) [الأنبياء:107]

(11) [آل عمران:85]

(12) [الأنعام:19]

(13) [الشوري:7]

(14) [صحيح الجامع:1056]

وقال: ((والذى نفس محمد بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة، لا يهودى، ولا نصرانى، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار))⁽¹⁾

ومن المعلوم إن التوراة أنزلت بلغة مختلفة عما هي عليه اليوم وكذلك الإنجيل ، وقد دخل في اليهودية والنصرانية أناس تختلف لغاتهم عن لغة هذين الكتابين، إذن فليس صحيحاً أنه طالما أنزل القرآن باللغة العربية ألا يؤمن به إلا العرب. أما أن الرسول (ﷺ) بُعِثَ بلسان قومه، فإن هذا بديهي، ليستطيع التحدث معهم، فيفهم عنهم، ويفهمون عنه، وتكون مهمة أتباعه بعد ذلك أن يترجموا معانيه إلى اللغات الأخرى، أما لو أرسل في بادئ الأمر إلى من تختلف لغتهم عن لغته، فكيف كان يبلغ رسالة ربه؟ وكيف كانوا يفهمونه؟

أما كونه قد أمر أن ينذر قومه وعشيرته الأقربين، فلأنهم أولى بذلك، كما أنك لو ملكت خيراً ينتفع به الناس، فإنك تبدأ بأهلك أولاً، فلا تتعداهم إلى غيرهم وتتركهم، لأنهم أولى الناس بك. وكيف لا يكون عدلاً أن يأمر الله أهل الكتاب أن يؤمنوا به وقد أخذ الميثاق على جميع الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – أن يؤمنوا به إذا ظهر في زمانهم، فكيف بأتباعهم؟

فقال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (2) أيؤمن به الأنبياء ويكفر به الأتباع؟

وقد كانت صفات الرسول (ﷺ) مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل فقال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} (3) ولكنهم حرفوها، حتى لا تكون حجة عليهم، ورغم ذلك التحريف، فقد بقى في الكتاب المقدس بعض ما بشر بنبوته (ﷺ) كما بينا من قبل

ومنها : وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة (4)

وجاء فيه أيضاً: وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك (5) وجاء فيه أيضاً: فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملی الغلام وشدي يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام (6). فمن تكون هذه الأمة العظيمة إن لم تكن أمة سيدنا محمد (ﷺ) ؟ وما هي هذه البئر إن لم تكن بئر زمزم؟

أيها المغرضون فلتعلموا بان الإسلام هو الدين الخاتم الذى ارتضاه الله للناس إلى يوم القيامة، فإن الكتب التي سبقته قد حُرِّفت، ولم يصبح للكتب الأصلية أي أثر، فأنزل الله القرآن وتكفل بحفظه، وجعله أكمل كتاب، وجعل فيه من الشرائع ما يصلح للبشرية إلى نهايتها، فلا يوجد قبله كتاب تحدى الله البشر أن

(2) [صحيح الجامع:7063]

(3) [آل عمران:81]

(4) [الأنعام:20]

(5) (تكوين17: 20-18)

(6) (تكوين21: 13)

(7) (تكوين21: 17-19)

يأتوا بمثله كما تحداهم بهذا الكتاب العظيم، وقد جعله الله مصدقاً لما فيها ومهيماً عليه فقال تعالى {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}(1)

وقل تعالى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً}(2)

ثم إذا تدبرنا لفظة {عَرَبِيًّا} فسنجد أن من معانيها في لغة العرب: أنه يُعَرَّبُ، ويُعَبَّرُ، وفي حالة إفصاح وتبيان وجلاء، وكما نقول: إن فلاناً يُعَرَّبُ عما في نفسه، فيدلنا على مقصوده ومراميه، فلا يخفي علينا قوله.

ونقول لمثيري هذه الشبهة: ارجعوا إلى كتابكم المقدس لتعلموا أن المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – لم يُرسل إلا لبني إسرائيل، فلماذا آمن به غيرهم؟ ولماذا تقومون بالحملات التنصيرية لتدخلوا من استطعتم في دينكم، ولو لم يكن من بني إسرائيل؟

ودليل ذلك قول المسيح للمرأة الكنعانية ،، فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة(3)

وقال ايضاً ،،، هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً. إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة(4). والله أعلم.

5- الرد على شبهة أن نسب موسى وعيسى – عليهما السلام – أفضل من نسب النبي (ﷺ).

وهي من المضحكات المبكيات لانهم يقولون ،،،، إن نسب أنبيائنا – مثل موسى وعيسى – أفضل من نسب نبيكم، لأن آباءهم لم يعبدوا الأصنام، ولكن آباء وأجداد محمد قد عبدوها.

هذه الشبهة اكبر دليل على ان هؤلاء اما انهم لا يفهمون او انهم لم يطلعوا على كتابهم لان كتابهم به من فصائح الانبياء ما يخجل من ذكرها الانسان ولكنهم هم من دفعونا لذكرها

فالكتاب المقدس جعل المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – من نسل امرأة زانية اسمها (ثامار) كما جاء في سفر التكوين في العهد القديم ومن نسل امرأة أخرى زانية اسمها (بثشبع) وعلى أية حال فلا يشترط أن يكون الولد مثل أبيه وأجداده، فإن أبا سيدنا إبراهيم كان كافراً، وهو أبو جميع الأنبياء، وابن سيدنا نوح كان كافراً، ولم يقدر هذا في نبوته، كما لم يقدر كفر أبى سيدنا إبراهيم في نبوته، فالاثنتان من أولى العزم من الرسل.

وهذا الكلام حجة عليكم، لأن الرسول (ﷺ) جاء ليعمل في أرض بور خالية من التوحيد، ولم يساعده أحد، أما أنبيائكم – على جميع أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام – فكان يساعده بعضهم بعضاً، فإبراهيم كان معه ابن أخيه لوط، وكان معه ولداه إسماعيل وإسحاق، وإسحاق كان معه يعقوب، وكان ليعقوب اثنا عشر ابناً هم الأسباط، وموسى كان يساعده أخوه هارون ويوشع بن نون تلميذه، وزكريا كان معه ابنه يحيى، وعيسى كان معه ابن خالته يحيى، وقد جاء وقومه موحدون، وهم أتباع موسى، أما الرسول (ﷺ) فقد أرسل إلى قوم مشركين، ليس لهم علاقة بأي دين، ولا يؤمنون بالبعث والحساب، والجنة والنار، فبينه وبين جده إسماعيل حوالى خمسة آلاف

(2) [المائدة:48]

(3) [المائدة:3]

(4) (متى:15: 24)

(5) (متى:10: 5-6)

سنة {لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} (1) فكانت مهمته صعبة للغاية، وكأنك أتيت بقوم تريد أن توصلهم لنيل أعلى الشهادات، وهم لا يعرفون القراءة والكتابة، فتبدأ معهم من الصفر، بل إن الأمر أعظم من ذلك، فتعليم القراءة والكتابة أهون من تغيير العقيدة المتوارثة على مر الأجيال، الراسخة في العقول والأذهان.

ربما يقول قائل: إن نوحاً لم يكن معه أحد يساعده، فنقول له: إن الرسول (ﷺ) قاتل في سبيل الله لآخر عمره، أما سيدنا نوح فلم يقاتل أحداً. ثم إن هذا الكلام حجة عليكم من جهة أخرى، فلو أن الرسول (ﷺ) هو الذي ألف القرآن، لما عاب من أقاربه أحداً كما في سورة (المسد) ولما نهى عن الاستغفار لهم، كما حدث عندما أراد أن يستغفر لعمه أبي طالب، فنهاه الله عن ذلك {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (2) وليس الغريب أن يخرج النبي من قوم موحدين، ولكن الغريب أن يخرج من قوم مشركين ليخرجهم {مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} (3) وليصل بهم إلى أن يكونوا خير أمة {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (4) فمثلاً – {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} – لو خرج طبيب من عائلة كلها متعلمة تعليماً جامعياً، فإن هذا لن يكون غريباً، أما إذا خرج من عائلة أمية، ليس هذا فحسب، بل تفوق على جميع قرنائهم، وكان ترتيبه الأول، فإن هذا هو الغريب، والله أعلم.

6- الرد على شبهة أن القرآن يقر أن عيسى – عليه السلام – أفضل من محمد (ﷺ).

من خفة عقلهم وهذيانهم يقولون ،،،، إن القرآن يقر بأن عيسى أفضل من محمد، والاغرب هو قولهم ،،،، بدليل أنه ذكر مريم أم عيسى، وعظم شأنها، ولم يذكر أمانة أم محمد، ومعلوم أن العظيمة هي التي تلد العظيم.

-اولاً ،،،، إن هذا سؤال ساذج ونحن لا نتعجب فهذا دابهم للأسف لانه يستطيع أن يرد علي هذا السؤال الأطفال فضلاً عن الكبار.

فتعظيم القرآن للسيدة مريم – رضى الله عنها – في حين أن أم النبي (ﷺ) لم تُذكر ولا في آية واحدة، حجة لنا لا علينا، فإن السيدة مريم ذُكرت في القرآن في ثلاثين موضعاً، وهناك سورة باسمها، فلو أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي ألف القرآن – كما تقولون – فلمَ لم يذكر أمه، أو إحدى نسائه، أو بناته؟ ولمَ لم يُسمَّ بعض السور بأسمائهن؟

إن النساء اللاتي لهن تأثير في حياته حوالى سبع عشرة امرأة على الأقل، هن أمهاته – سواء من النسب أو الرضاة – وزوجاته، وبناته، فعدم ذكر أي واحدة منهن، وعدم ذكر أقاربه أو أصدقائه، لهو دليل على أنه لم يتكلف القرآن من تلقاء نفسه، ليس هذا فحسب، بل إنه (ﷺ) عدد الكاملات من النساء ولم يذكر أمه، ولا زوجاته، ولا بناته، فقال: ((كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكْمُل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران)) (5) وحين ذكر خير نساء العالمين، لم يذكر إلا السيدة خديجة، والسيدة فاطمة (رضى الله عنهما) ولم يذكر أمه، ولا بقية نسائه وبناته، فقال: ((خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت

(2) [السجدة:3]

(3) [التوبة:113]

(4) [إبراهيم:1]

(5) [آل عمران:110]

(6) [صحيح البخاري]

محمد، وآسيّة امرأة فرعون)) (1) أرايتم كيف وصف الرسول (ﷺ) السيدة مريم بأنها من الكاملات؟ ومن خير نساء العالمين؟ لقد عظّمها أكثر من ابنها الذي تنكّر لها (بزعمكم) وخاطبها بقوله: (يا امرأة) كما خاطب الزانية، وها هي الأدلة:

أولاً: وفيما هو يكلم الجموع إذ أمّه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه. فقال له واحد هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقاتل له. من هي أمي ومن هم إخواني. ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخواني. لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمّي (2)

ثانياً: فلما رأى يسوع أمّه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة (3)

ثالثاً: ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد. (4)

رابعاً: أمّا خطابه للزانية فهو في النص التالي: وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سِوَى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك. (5)

ونحن نقرّ بأن أم سيدنا عيسى أفضل من أم سيدنا محمد — عليهما الصلاة والسلام — ولكن هذا لا يعنى أن سيدنا عيسى أعظم من سيدنا محمد، والله أعلم.

7- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) جاءته الرسالة وهو ابن أربعين، والانبياء من قبله جاءتهم الرسالة في الصغر.

يقول القرآن عن النبي يوحنا (يحيى): {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم:12] انظروا إلى أنبياء بنى إسرائيل، فإنهم يُؤْتَوْنَ النبوة من الصِّغَر، في حين أن نبيكم تقولون إنه أُرْسِلَ في سن الأربعين، وكذلك فإن عيسى قد تكلم في المهد، وموسى نجاه الرب في التابوت وهو رضيع، ويونان (يونس) عاش في بطن الحوت ثلاثة أيام، وولدت جنة مريم وهي عاقر في سن الخامسة والثمانين، وولدت أختها الياصابات يحيى من زوجها زكريا وعمره تسعون عاماً، وعمرها يقارب عمر أختها، فنحن شعب المعجزات، فأين نبيكم من هذه المعجزات؟

ونقول لهؤلاء...، جميع الأنبياء — على نبينا وعليهم الصلاة والسلام — بما فيهم أنبياء بنى إسرائيل، لم يُعْطُوا رُسُلًا إلا في سن الأربعين، وهناك قول بأن سيدنا نوحاً لم يبعث إلا بعد المائتي عام، أما سيدنا يحيى فإن الله قدّر له الشهادة في سن الخامسة والثلاثين، فكيف كان ينتظر ليكون رسولاً في سن الأربعين؟

أما كلام سيدنا عيسى في المهد فإنه حجة عليكم، لأنه ليس في كتابكم المقدس ما يثبت ذلك، فإن الفضل في إظهار هذه المعجزة هو القرآن.

(2) [صحيح الجامع:3328]

(3) (متي: 12: 46-50)

(4) (يوحنا: 19: 26)

(5) (يوحنا: 2: 3-4)

(1) (يوحنا: 8: 9-10)

ثم ان هذه المعجزات التي تتكلمون عنها، صانعها هو الله، وليس الأنبياء، وقد كانت تأييداً لرسالتهم، وهي ليست قاصرة على أنبياء بني إسرائيل، وشاهد على ذلك سفينة سيدنا نوح، وناقة سيدنا صالح، والنار التي كانت برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم، ولولا أن القرآن أخبرنا بهذه المعجزات ما صدّقناها، لأنها انتهت بموت من عاصرها ورآها، أما القرآن فمعجزته باقية إلى يوم القيامة، وقد تكلمنا عن ذلك في أكثر من موضع. ومعلوم أن ولادة سيدنا عيسى كانت معجزة، واليهود قوم ماديّون، لا يؤمنون إلا بالمادة، فهم الذين قالوا للنبيهم: {لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} [البقرة: 55] فلو وُلِدَ سيدنا عيسى بدون أب، بغير مقدمات تسبقه، لَمَا آمنوا به، فكان لابد من تمهيد لمعجزته بمعجزة يشاهدونها تثبت لهم قدرة الله جل وعلا، حتى إذا جاءت معجزته لا يستبعدون وقوعها، فكان حمل السيدة حنّة بنت فاقوس، وولادتها للسيدة مريم، وهي في سن الثالثة والثمانين، من زوجها سيدنا عمران الذي جاوز سن التسعين، معجزة تمهد لمعجزة ولادة سيدنا عيسى، وكذلك حمل وولادة أختها الياصابات – وهي أيضاً فوق الثمانين – لسيدنا يحيى، من زوجها سيدنا زكريا، رغم أنها كانت عاقراً لا تحيض، وكان زوجها شيخاً كبيراً، حتى إنه حين دعا ربه لم يدعُ جهازاً {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً} [مريم: 3] فإنه لو دعا جهازاً، لكان غريباً على الناس أن يدعو أحد بالذرية في هذه السن، ولسخروا منه، كمن يرى شيخاً كبيراً قد انحنى ظهره، وهو متوكئ على عصا، ثم يدعو بالذرية! فكانت ولادة السيدة مريم وابن خالتها سيدنا يحيى، تمهيداً لمعجزة ولادة سيدنا عيسى، فلو جاءت معجزته فجأة بدون مقدمات، لكان صعباً على العقول استيعابها، ولكن رغم ذلك فإن الكثير منهم لم يؤمنوا به، واتهموا أمّه بالفاحشة، وهم أغبياء في ذلك، ليس فقط لمعرفتهم السابقة بسيرتها الكريمة – رضى الله عنها – ولكن لأنطق سيدنا عيسى في المهد، فلو أنها كانت كما قالوا من الإفك والبهتان، لكان ولدها طفلاً عادياً كسائر الأطفال، ولكن كلامه في المهد كان معجزة من الله عز وجل، فلم يصدقوا كلامه ولم يصدقوا براءتها؟

8- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) وضع في القرآن ما يوافق هواه.

لقد وضع محمد (ﷺ) في القرآن ما يوافق هواه، بدليل أن عائشة قالت له: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. (1)

نقول ،،،، كعادة السائل أنه لا يذكر من النصوص إلا ما يوافق هواه. فلننظر لماذا قالت له السيدة عائشة هذا القول؟ تجيبنا رضى الله عنها بقولها: (كنت أغارُ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (ﷺ) وأقول: أتهب المرأة نفسها؟

فلما أنزل الله تعالى {تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ} قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

وقد قال النووي في معنى (يسارع في هواك): أي يخفف عنك، ويوسّع عليك في الأمور، ولهذا خيرك (أي في أمر نسائه) وقال القرطبي: هذا قول أبرزه الدلال والغيرة، وهو من نوع قولها: ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله (أي عند تبرئة الله لها من حادثة الإفك) وإلا -فإضافة الهوى إلى النبي (ﷺ) لا يحمل على ظاهره، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل بالهوى، ولو قالت (إلى مرضاتك) لكان أليق، ولكن الغيرة يُغْتَفَرُ لأجلها إطلاق مثل ذلك.

(1) [صحيح البخاري]

مما سبق يتضح لنا أن قولها كان من باب الغيرة، وإلا-لو أنه ألف القرآن لكتم منه أشياء كثيرة. وقد جاء في الكتاب المقدس ما يثبت أن بولس الرسول كان يتكلم أحياناً برأيه، بغير وحى من الله، فقال :

وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطى رأياً كَمَنَ رحمه الرب أن يكون أميناً. فأظنُّ أن هذا حَسَنٌ لسبب الضيق الحاضر أنه حَسَنٌ للإنسان أن يكون هكذا. (1)

نلاحظ قوله: (فأظنُّ) لأنه قد رأي الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة (2) نلاحظ قوله: (رأي الروح القدس ونحن).

9- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) له قوة أربعين نبياً .

تزعمون أن نبيكم كانت له قوة أربعين نبياً، وأنه كسر الصخرة التي لم يقدر عليها أصحابه حين حفروا الخندق، وأنه أصاب أعين المشركين بحفنة من التراب في غزوة بدر، وأنه كذا، وأنه كذا، ما كل هذه المبالغات؟

ونقول لهؤلاء إن هذه ليست مبالغات، ولكنها من المعجزات التي أيد الله بها نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا حرج على فضل الله، وقد كانت له معجزات أخرى كثيرة.

وقد جاء في كتابكم المقدس ما هو أبعد مما ذكرتموه بكثير، ومنه ما يلي:

ثم قال الرب لموسى وهَارُونَ خُذَا مِلءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الْأَتُونِ. وَلْيَذَرَهُ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنِي فَرَعُونَ. لِيَصِيرَ غِبَاراً عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلٌ طَالِعَةٌ يَبْثُورُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَأَخَذَا رَمَادَ الْأَتُونِ وَوَقَفَا أَمَامَ فَرَعُونَ وَذَرَّاهُ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ. فَصَارَ دَمَامِلٌ يَبْثُورُ طَالِعَةٌ فِي النَّاسِ وَفِي الْبَهَائِمِ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَرَّافُونَ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ الدَّمَامِلِ. لِأَنَّ الدَّمَامِلَ كَانَتْ فِي الْعَرَّافِينَ وَفِي كُلِّ الْمِصْرِيِّينَ. (3)

ويزعمون في كتابهم ايضاً ،،، هذه أسماء الأبطال الذين لداود. يوشيب بشبث التحكموني رئيس الثلاثة. هو هَزَّ رُمَحَهُ عَلَى ثَمَانِ مِئَةِ قَتَلَهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً. (4)

هل يستطيع أحد – مهما أوتى من قوة – أن يقتل ثمان مائة رجل بِرُمَحِهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً؟

ويزعمون ايضاً ،،، وهذا هو عدد الأبطال الذين لداود. يشبعام بن حكموني رئيس الثوالت. هو هَزَّ رُمَحَهُ عَلَى ثَلَاثِ مِئَةِ قَتَلَهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً. (5)

ويقولون ايضاً ،،، وكان بعده شمجرج بن عناة فضرب من الفلسطينيين ست مائة رجل بِمِنْسَاسِ الْبَقَرِ وهو ايضاً خَلَصَ إِسْرَائِيلَ. (6) ما هذا؟ ست مائة رجل يُقَتِّلُونَ بِمِنْسَاسِ الْبَقَرِ (أي ذيله)؟

(2) (رسالة بولس الأولى إلي كورنثوس 7: 25-26)

(3) (أعمال الرسل 15: 28)

(4) (خروج 9: 8-11)

(5) (صموئيل الثاني 23: 8)

(6) (أخبار الأيام الأول 11: 11)

(7) (قضاة 3: 31)

ويقولون بان شمشون يضرب 1000 رجل بلحى حمار طرى، ويشق الأسد بيديه نصفين، ويربط ذبول 300 ثعلب ببعضها: ووجد لحى حمار طرياً فمَدَّ يده وأخذه وضرب به ألف رجل. فقال شمشون بلحى حمار كومة كومتين. بلحى حمار قتلْتُ ألف رجل. (لحى حمار) أي (فَكَ حمار).

فنزل شمشون وأبوه وأمه إلى تمنة وأتوا إلى كروم تمنة. وإذا بشبل أسد يزمرج للقائه. فحلَّ عليه روح الرب فشَقَّه كشق الجدى وليس في يده شيء ولم يخبر أباه وأمه بما فعل... مالَ لكى يرى رمَّة الأسد وإذا دَبَّرُ من النحل في جوف الأسد مع عسل. فاشتار منه على كفيه وكان يمشى ويأكل وذهب إلى أبيه وأمه وأعطاهما فأكَّلا ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد اشتار العسل. (2) نلاحظ من هذا النص أن الأسد لم يتعفن بعدما شَقَّه شمشون بيديه، وأن النحل اتخذت جوفه بيتاً لصنع العسل.

وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل دَنَّباً إلى دَنَّب ووضع مَشَعلاً بين كل دَنَّبَيْنِ في الوسط. ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون. (3) (ابن آوى) هو الثعلب.

10- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان عاشق للنساء.

شبهه يثيرها المغرضون عن رسول الله (ﷺ) بين الحين والآخر فيقولون ،، يثبت نبيكم في الحديث الصحيح أنه عاشق للنساء، إذ يقول: ((حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم الطَّيِّبُ والنساء)) وأنتم ترفضون هذا القول رغم صحته.

يبدو أن السائل قد تعمد ألا يكمل الحديث، حيث يقول: ((حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم النساء والطيب، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصلاة)) (4) أي أن أحب شيء إليه (ﷺ) الصلاة، ولو أنه فهم اللغة العربية لَمَا سأل هذا السؤال، لأن الرسول (ﷺ) قال: ((حُبِّبَ إِلَيَّ)) ولم يقل (أحبيبتُ) أي أن الذى وضع هذا الحب في قلبه هو الله سبحانه وتعالى. ولكن لماذا حببه الله في النساء؟

لأن العرب كانوا ينظرون للمرأة نظرة احتقار، ولا يجعلون لها حظاً في الميراث، بل كانوا يتوارثونها هي نفسها، فنهاهم الله عن ذلك في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا} (5) وكانوا ينظرون إليها على أنها دون الرجل في كل شيء، ويأكلون مهرها، ولا يعطونها حقها، بل ويبدونها في مهدها {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ {8} بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (6)

فأراد الله أن يجعل لها مكانة في قلب الرسول العظيم الأسوة، ليُعْلَى قدرها، وليتأسى به أصحابه رضوان الله عليهم وأتباعه من بعده، فيرتفع قدرها في قلوب الأمة، فالمرأة هي الأم والأخت والزوجة والابنة والعمة والخالة، ولكلٍ منهن حقها، والآيات والأحاديث في تكريم المرأة كثيرة جداً يضيق المقام عن ذكرها، ففي القرآن الكريم سورة طويلة تسمى (النساء) وليس فيه سورة تسمى (الرجال) ومن الآيات والأحاديث التي تحت على تكريمها: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

(2) (قضاة: 15: 15-16)

(3) (قضاة: 14: 5-9)

(4) (قضاة: 15: 4-5)

(5) [صحيح الجامع: 3124]

(6) [النساء: 19]

(7) [التكوير: 8-9]

بِالْمَعْرُوفِ} (1) {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (2) {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} (3) ((ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هُنَّ عَوَان عندكم)) (4) ((إني أحرّج عليكم حق الضعيفين، اليتيم والمرأة)) (5) ((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ) فآمن به واتبعه وصدقته، فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة، فغداها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران)) (6) ((حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يُقَبِّح، ولا يهجر إلا في البيت)) (7)

((من ابتلى من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كُنَّ له سترًا من النار)) (8) وليس معنى قوله (ﷺ) : ((ابتلى)) أنهن شر، ولكن الابتلاء هو الاختبار، قال تعالى: {وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} (9)

ونقول للسائل: إن الرسول (ﷺ) لم يثبت عنه قط أنه أحب امرأة من غير محارمه، فبرجاء ان تبينوا لنا ما جاء في الكتاب المقدس بهذا الخصوص وأحبَّ يعقوبُ راحيل. (10)

كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود. ،، حتى زنى بها(11) أحلفكن يا بنات اورشليم إن وجدتن حبيبي أن تخبرنه بأنى مريضة حباً(12) حلقة حلوة وكله مُشتهيات. هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات اورشليم(13)

ليتاك كأخ لى الراضع ثديى أُمى فأجدك في الخارج وأقبلك ولا يخزوننى. وأقودك وأدخل بك بيت أُمى وهي تعلمنى فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى. شماله تحت رأسى ويمينه تعانقتى. أحلفكن يا بنات اورشليم ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها... لأن المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهواية. لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها... أنا سور وثنياي كبرجيين. (14)

(2) [البقرة:228]

(3) [النساء:19]

(4) [الطلاق:2]

(5) [سنن الترمذي، صحيح الجامع:7880]

(6) [السنن الكبرى للبيهقي، صحيح الجامع:2447]

(7) [صحيح الجامع:3073]

(8) [صحيح الجامع:3149]

(9) [صحيح الجامع:5932]

(10) [الأنبياء:35]

(11) [تكوين29: 18]

(12) [صموئيل الثاني13: 1]

(13) [نشيد الأنشاد5: 8]

(14) [نشيد الأنشاد5: 16]

(15) [نشيد الأنشاد8: 1-10]

ها أنتِ جميلة يا حبيبتي ها أنتِ جميلة عيناكِ حمامتان من تحت نقابكِ. شعركِ كقطيع معز رابض على جبل جلعاد. أسنانكِ كقطيع الجرائز الصادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيهن عقيم. شفتاكِ كسلكة من القرمز. وفمكِ حلو. خدكِ كفلاحة رمانة تحت نقابكِ. عنقكِ كبرج داود... ثدياكِ كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن... كللكِ جميل يا حبيبتي ليس فيكِ عيبة،⁽¹⁾

11- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) تزوج بطفلة عمرها 6 سنوات.

كيف يتزوج رسولكم طفلة عمرها 6 سنوات، وهو في سن الشيخوخة، والفارق بينه وبينها 44 سنة؟

ولهؤلاء نقول - أترضون لأنبيائكم الزنى، والسرقة، وشرب الخمر (وحاشاهم) ولا ترضون لنبينا الزواج؟ {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} وكان الأولى بكم أن تقرأوا ما في كتابكم المقدس، قبل أن تلقوا باللوم على غيركم.

ثم إنه قد جاء في (الموسوعة الكاثوليكية العالمية) التي يعتمد عليها الفاتيكان، وجميع الكنائس الكبرى، باعتبارها مرجعاً علمياً معتمداً، أن يوسف النجار خطيب السيدة مريم (على حد قولهم) كان عمره 90 عاماً، وكان عمر مريم - رضى الله عنها - في وقت حملها ما بين اثني عشر عام إلى أربعة عشر.

إن الرسول (ﷺ) عقد على السيدة عائشة - رضى الله عنها - وهي بنت ست سنين، ولم يَنْ بها إلا وهي بنت تسع، ومعلوم عند أطباء النساء أن كثيراً من البنات يبلغن في هذه السن المبكرة، لأسباب بيئية ووراثية وغذائية، وخصوصاً في البلاد الحارة مثل الجزيرة العربية، وقد رأي في المنام أنها زوجته، فكان زواجه منها بأمر الله عز وجل، وله سبحانه وتعالى حكم كثيرة، بالإضافة إلى إكرام أبيها، فقد سبق في علمه سبحانه وتعالى ما ستكون عليه من الحكمة والفتنة والذكاء، بحيث تعى جيداً ما يقوله الرسول (ﷺ) وما يفعله في بيته (وخاصة في هذه السن المبكرة) فتتقله للأمة ليفتدوا به، كما يقولون: (التعليم في الصغر كالنقش على الحجر) فقد عاشت (رضى الله عنها) بعد الرسول صلى الله عليه وسلم حوالى سبعة وأربعين عاماً، علّمت فيها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين سنته، حتى إنها بقيت إلى زمن تدوين الأحاديث، فنُقِلَ عنها الكثير والكثير، وتُعد الثالثة في رواية الأحاديث، بعد أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم. ولو كانت كبيرة السن كبقية نسائه، لَمَّا عَمُرَتْ بعده زمناً طويلاً، ولَمَّا أفادت في بيان أحاديثه وسنته للأجيال المتعاقبة إلى يوم الدين، وخصوصاً الأشياء التي لا يطلع عليها أحد، مثل معاملة الرجل لزوجته وأهل بيته، وأمور التطهر من الجنبابة، وما للزوج من امرأته أثناء الصيام أو الحيض، وكذلك الأمور التي تتعلق بالمرأة وتستحي أن تسأل عنها الرجال، وغير ذلك كثير، فجزاها الله عنا خير الجزاء.

والسائل قد حكم على هذا الزواج بنظرة القرن العشرين، ولم ينظر إليه بنظرة البيئة التي كان يعيش فيها الرسول (ﷺ) فقد كان هذا في زمنه أمراً عادياً، إذ لم يكن الرسول (ﷺ) أول من تزوج بفتاة تصغره بهذا السن، فقد تزوج جده عبد المطلب من هالة بنت وهيب، وهي الصغيرة

(1) (نشيد الأنشاد: 4: 7-1)

في السن، مثل زوجة ابنه عبد الله، آمنة بنت وهب أم الرسول (ﷺ)، وتزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه من زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو في سن جدها، والمشركون واليهود والنصارى كانوا يتمنون للرسول (ﷺ) أي هفوة أو زلة، فلو كان هذا الأمر غريباً عليهم لشنعوا به، ولفضحوه بين القبائل، ولكنه كان أمراً عادياً كما أسلفنا.

والآن نستعرض بعض ما جاء بشأن الأنبياء في الكتاب المقدس:

وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريريه وتمشَّى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستجم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي. فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلت. فأرسل داود إلى يواب يقول أرسل إلى أوريا الحثي. فأرسل يواب أوريا إلى داود... ودعا داود فأكل أمامه وشرب وأسكره... وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يواب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول. اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت... أرسل داود وضماها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً. (1)

وحدث لما أخرج الله مدن الدائرة أن الله ذكر إبراهيم وأرسل لوطاً من وسط الانقلاب. حين قلب المدن التي سكن فيها لوط وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقى أبانا خمرأ ونضطجع معه. فنحى من أبينا نسلأ. فسقتا أباهما خمرأ في تلك الليلة.

ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمرأ الليلة أيضاً فادخل اضطجعى معه. فنحى من أبينا نسلأ. فسقتا أباهما خمرأ في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت بنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى. وهو أبو بنى عمون إلى اليوم (2)

وجاء في الكتاب المقدس افتراءً على سيدنا داود (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) أنه تزوج من بنت الملك شاول، وقدم لها أعجب مهر في الدنيا.. أتدرون ما هو؟ لقد اشترط الملك عليه أن يأتى بمائة غُلَّة من غُلْف الفلسطينيين، فكان داود أكرم منه ودفع مهرها مئتي غُلَّة، وإليك الدليل: فقال شاول هكذا تقولون لداود ليس مَسَرَّة الملك بالمهر بل بمئة غُلَّة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين. فأخبر عبيده داود بهذا الكلام فحسن الكلام في عينى داود أن يصاهر الملك. ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى بغُلْفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك. فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة. فرأى شاول وعلم أن الرب مع داود. (3) (الغُلَّة) هي الجلد التي تُقَطَّع من الذكر عند خِتانِه، والله أعلم. ألم اقل لكم من كان بيته من زجاج فلا يرمى الناس بالحجارة

(2) (ملخص ما ورد في صموئيل الثاني: الإصحاح 11)

(3) (تكوين 19: 29-38)

(1) (صموئيل الأول 18: 25-28)

12- الرد على شبهة قتل النبي (ﷺ) للنساء.

يقولون ،، إن محمداً لا يتورع عن قتل النساء, كما جاء في السيرة أنه اغتال عصماء بنت مروان الخطمية, واغتال فتاتى ابن خطل, إن هذه المرأة المسماة (عصماء) كانت تعيب الإسلام, وتؤذى النبي (ﷺ) وتحرض عليه, وتؤذى من أسلم, حتى ولو كان من قبيلتها, وكانت تطرح المحايض في مسجد بنى خطمة, فلما استفحل شرها, قتلها رجل مسلم من قومها, وهو عُمَيْر بن عدى الخطمي رضى الله عنه ولم يعارضه أحد من قبيلتها, لسوء خلقها, وقسوتها على كل من أسلم, وقال الرسول (ﷺ) لعمير حين سأله هل عليه شيء في قتلها: ((لا ينتطح فيها عَزان)) [سيرة ابن هشام وغيرها] أي أنه بلغ من شرها أنه لا يختلف في وجوب قتلها أحد, ومع هذا فإن الحديث منكر, أما عن فتاتى ابن خطل.. فهاتان كانتا تُغَيَّيان بهجاء رسول الله (ﷺ) ولقد قُتِلَت إحداهما, وهربت الأخرى, ثم طُلِبَ لها الأمان, فأَمَّنَها رسول الله (ﷺ) وأسلمت.

والذين يلومون على الرسول (ﷺ) السماح بقتل هؤلاء النسوة, مع ما فعلَته من عداوة للإسلام والمسلمين – وعلى رأسهم رسول الله (ﷺ)

– جاء في كتابهم المقدس الأمر بقتل من لا يمثل لأمر الكاهن أو القاضي, ولا أقول لأمر نبيهم, بل لأمر كاهنهم أو قاضيهم, حتى لو كان ذنبه لا يستحق عقوبة القتل أصلاً, فهذا هو كتابهم يقول: إذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم ودم أو بين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات في أبوابك فقم واصعد إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك. واذهب إلى الكهنة اللاويين وإلى القاضي الذي يكون في تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء... والرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك أو للقاضي يُقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من إسرائيل. (1)

13- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان يطوف على نساء أجنبيات عنه.

يقولون ،،، إن محمداً ،،، (ﷺ)،،،، لم يكتفِ بالزواج من تسعة نسوة, فبعد الطواف عليهن يذهب إلى امرأة أجنبية لا تحل له – وهي أم سُلَيْم – ويَقِيلُ عندها, فتأخذ من عرقه وشعره وتضعه في قارورة, كل هذا وزوجها خارج البيت. ويذهب لامرأة أخرى أجنبية عنه, وهي أم حَرام بنت ملحان, زوجة عبادة بن الصامت, بحجة مضحكة, وهي أن تُقَالَى له رأسه, في غيبة زوجها أيضاً, فأين كان يضع محمد رأسه حين كانت تُقَالَى هذه المرأة في غياب زوجها؟

إن الذي لا تعرفه أيها المتهجم على رسول الله (ﷺ) أن أم سُلَيْم – رضى الله عنها – خالة الرسول (ﷺ) من الرضاعة, كما قال ذلك ابن الجوزي, وَوَرَدَ عنه في فتح الباري, والمنهاج شرح مسلم, فقد كانت أم سليم أخت أمنة بنت وَهْب أم الرسول (ﷺ) من الرضاعة.

أما السيدة أم حَرام بنت ملحان – رضى الله عنها – فهي أخت أم سُلَيْم, وخالة أنس بن مالك رضى الله عنه أي أنها هي أيضاً خالة الرسول (ﷺ) من الرضاعة, كما قال ذلك ابن وهب, فأين المرأة الأجنبية التي تتحدث عنها أيها المُدَّعى؟ وأي عجب في أن تُقَالَى المرأة ابن اختها من الرضاعة, أو أن يُقِيلَ عندها, أو أن تأخذ من عرقه, أو أن يدخل عليها في غيبة زوجها, خصوصاً وأن أنس بن مالك رضى الله عنه كان معه (ﷺ)؟

(1) (تشية17: 8-12)

وقد جاء في الكتاب المقدس أن امرأة زانية قَبِلَتْ قَدَمَيَّ المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – ومسحتهما بشعرها، فغفر لها،

14- الرد على شبهة زوج النبي (ﷺ) من زينب بنت جحش – رضي الله عنها -.

،،، إن نبيكم رأي زينب بنت جحش، فأعجبته وأحبها، فأمر زيد بن حارثة أن يطلقها ليتزوجها، استغلالاً لعبودية زيد بن حارثة له.

ونرد على هؤلاء : أن زواج الرسول (ﷺ) من السيدة زينب – رضي الله عنها – كان لإنهاء التبنّي الذي كان سائداً قبل الإسلام، فكان الرجل في الجاهلية لا يتزوج زوجة ابنه الدّعي (ابنه بالتبني) ويعتبر هذا عيباً كبيراً، فأراد الله عز وجل أن يُنهي هذا الأمر في شخص الرسول (ﷺ) ليكون أدعى للاقتداء به، وخاصة أن هذا الأمر كان قد تأصل في النفوس لدرجة كبيرة، بحيث يصعب عليهم تركه.

ولو كان الرسول (ﷺ) هو الذي أُلّف القرآن – كما يدعى المغرضون – أو لو كنتم شيئاً منه، لَمَا ذكر هذه الآيات. ولنتفكر سوياً فيما ورد بهذا الشأن في القرآن الكريم: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} (1) أول دليل يناقض ادعاءهم أنه أمر زوجها أن يطلقها، هو قوله عز وجل: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} والثاني – وهو بيت القصيد كما يقولون- أنهم تأولوا الآية الكريمة: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} على أنه (ﷺ) كان يحبها ويخشى ملامة الناس! فنقول وبالله التوفيق: ما الذي كان يخفيه رسول الله؟ كان يخفي ما الله سيديده.. أليس كذلك؟ وما الذي أبداه الله؟ هل أبدى أنه كان يحبها؟ لا- بل إنه سبحانه وتعالى أبدى زواجه منها، وإنهاء التبنّي، فمن هذا نعلم أن رسول الله (ﷺ) كان يخشى أن يُبدى للناس أن الله سيزوجه إياها، لِمَا ذكرناه من تأصل هذه العادة عند العرب لزمن طويل، واعتبار ذلك (أي زواج امرأة الدّعي) عيباً خطيراً.

وهل كان الرسول (ﷺ) في حاجة لانتظار سيدنا زيد رضي الله عنه أن يطلقها ليتزوجها؟ إنها ابنة عمته، وكان يعرفها جيداً قبل الإسلام، وقبل نزول آيات الحجاب، وكان بوسعه أن يتقدم لخطبتها، ولكنه هو الذي أمرها أن تتزوج زيدا، وكانت ترفض ذلك لشرفها، فهي فُرْشِيَّة حرة، وهو عبد، ولكنها عندما نزلت الآية الكريمة: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (2) علمت أنه أمر من الله، فوافقت، وكان سيدنا زيد يأتي الرسول (ﷺ) يشتكى له منها، لإحساسه بتعاليلها عليه، فكان يأمره بإمساكها، مع علمه بأن الله سيزوجه لها، فكل الروايات التي ذكرت أنها أعجبته ضعيفة أو موضوعة. ومن قال إنها ازدادت حسناً بعد زواجها من زيد، فإن قوله مردود عليه بأنها كانت ثيباً حين تزوجته، ولم تكن بكرًا.

ومن زعم أن هذه الآيات ألغت التبنّي لتسمح للنبي بزواجها، نقول له: فلماذا لم تُنسخ هذه الآيات بعد ذلك؟

(2) [الأحزاب:37]

(3) [الأحزاب:36]

أو لماذا لم يُخصَّ الرسول (ﷺ) بهذا الحكم، كما خُصَّ ببعض الأحكام، مثل أن تهبه امرأة نفسها؟ {وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} (1) فإن هذا الأمر خاص به وحده، فلا يجوز لأي امرأة أن تقول لأي رجل: (وهبتك نفسي) كما يظن بعض الجاهلين. ثم إن الآية نفسها ترد على هذه المقولة الكاذبة، فقد بين الله سبحانه وتعالى حكمة إلغاء التبنّي في قوله تعالى: {زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا}

فلو قالت الآية (لكي لا يكون عليك حرج) لكان زعمهم صحيحاً، ولكنها كانت لرفع الحرج عن سائر المؤمنين.

والذين يلومون على الرسول (ﷺ) أنه تزوج من مطلقة ابنه بالتبني، ويعتبرونها خيانة، اليكم الاتي :

اولاً ،، جاء في كتابهم المقدس أن يهوذا (جَدَّ معبودهم) لم يتزوج من امرأة ابنه، بل زنى بها، وقد ورد هذا الفعل الشنيع في سفر التكوين وقد ذكرناه من قبل

ثانياً ،، قال الرب لى اذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل (2) أي أن الله سبحانه وتعالى (بزعمهم) أمر نبيه هوشع بحب الزانية حبيبة صاحبه كمحبته لبني إسرائيل!

ثالثاً ،، بالديباج فرشتُ سريري بموشى كتان من مصر. عطّرتُ فراشي بمُر وعود وقرفة. هَلَمْ نَرْتَوِ وَدّاً إِلَى الصَّبَاحِ. نَتَلَذَّذُ بِالْحُبِّ. لَأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ (3).

رابعا ،، كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبّها أمنون بن داود. وأُحْصِرَ أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء... وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شيمعى أخى داود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً. فقال له لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح. أما تخبرنى. فقال له أمنون إنى أحب ثامار أخت أبشالوم أخى. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارّض. وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دَعْ ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزاً وتعمل أمانى الطعام لأرى فأكل من يدها. فاضطجع أمنون وتمارّض فجاء الملك ليراه. فقال أمنون للملك دع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمانى كعكتين فأكل من يدها... فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعى معى يا أختى. فقالت له لا يا أخى لا تذلى... والآن كَلِّمَ الملك لأنه لا يمتنعنى منك. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكّن منها وقهرها واضطجع معها (4).

نلاحظ في هذه الفقرة عدّة أمور:

أولاً: أن الكتاب المقدس وصف الذى يحض على الخيانة والزنى بالمحارم بأنه (رجلاً حكيماً جداً) وأن هذا الرجل كان ابن (شيمعى أخى داود) أي أنه يحرض ابن عمه على الزنى بأخته.

(2) [الأحزاب: 50]

(3) (هوشع 3: 1)

(4) (الأمثال 7: 16-19)

(1) (صموئيل الثاني 13: 1-14)

ثانياً: أن أمنون كان متحرّجاً في أول الأمر، لأن اخته كانت عذراء، أي أنها لو كانت تيّباً ما كان يعنيه شيء. ثالثاً: أنها قالت له: (كَلِمَ الْمَلِكُ لِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ) أي أن المشكلة في أنه لم يستأذن أباهما، أما لو استأذنه فلا حرج عليه، والله أعلم.

15- الرد على شبهة ان النبي (ﷺ) اضطلع مع زوجة عمه أبي طالب في قبرها.

إن نبيكم اضطجع مع زوجة عمه أبي طالب في قبرها، أهكذا تكون العفة؟

ولهؤلاء نقول ،،،، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لما ماتت فاطمة أم على بن أبى طالب، ألبسها رسول الله (ﷺ) قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: ((إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها، إنما ألبسْتُها قميصى لَتُكْسَى من خُلل الجنة، اضطجعتُ معها لِيُهَوَّنَ عليها)) (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر)

عن ابن عباس قال: لما ماتت أم علي بن أبي طالب، فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت ممن كَفَّلَ النبي (ﷺ) ورَبَّته بعد موت عبد المطلب، كَفَّنَهَا النبي (ﷺ) في قميصه، وصلى عليها، واستغفر لها، وجزاها الخير بما وَلَّيْتَهُ منه، واضطجع معها في قبرها حين وُضِعَتْ، فقليل له: صنعت يا رسول الله بها صنعاً لم تصنع بأحد! قال: ((إنما كَفَّنْتُهَا في قميصي، ليدخلها الله الرحمة، ويغفر لها، واضطجعت في قبرها، ليخفف الله عنها بذلك)) (كنز العمال)

لنسأل أولاً: ما معنى الاضطجاع؟ الاضطجاع هو الاستلقاء أو النوم على الجنب، قال تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} (1)

وقال رسوله (ﷺ): ((إن هذه ضجعة يبغضها الله تعالى))⁽²⁾ (أي أن الله يبغض النوم على البطن) إذن ليس هناك شيء مما ذهب إليه السائل من عدم العفة، فالرسول (ﷺ) نام في قبرها وهي مكفنة، قبل أن تدفن على مَرَأَى من الصحابة رضى الله عنها لعل الله يرحمها، وذلك من تمام وفائه لها إذ ربّته، وأحسنّت إليه، وجعلته كابنها، وليس عملاً يؤخذ عليه.

الا ان هؤلاء الافاكون قد أساءوا الظن بالرسول (ﷺ)

هل تعرفون سبب سوء ظنهم لأن الاضطجاع عندهم في الكتاب المقدس يعنى الجماع, وغالباً ما يطلق على الزنى, بدليل:

،،،اولا وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتتنظر بنات الأرض. فرآها شكيم ابن حَمُور الجوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلّها(3).

ثانيا ، وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأويين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه(4).

(2) [السجدة: 16]

(³) [صحيح الجامع: 2271]

(4) (تكوين 34: 1-2)

(⁵) (تكوين 35: 22)

ثالثاً ،، راعوث تضاجع (بوعز) بوصية من حماتها: ومتى اضطجع فاعلمى المكان الذى يضطجع فيه وادخلى واكشفى ناحية رجله واضطجعى وهو يخبرك بما تعلمين(1). والله المستعان.

16- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) نصر بالرعب مسيرة شهر.

يقول المغرضون ان نبيكم يقول ((نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)) (2) وهذا يدل على أن نبيكم نبى مرعب, ينصر دينه بالرعب والإرهاب, والاعتراف سيد الأدلة ونحن نقول لهم بداية من كان بيته من زجاج فلا يقذف الناس بالحجارة وايضا من ليس له علم بلغة العرب فلا يخوض فيها

ولنقرأ أولاً بعض ما جاء في الكتاب المقدس:

ها هو المسيح عليه السلام يقول في انجيل متى ،،،

لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض. ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً. (3)

ويقول ايضا في انجيل لوقا،،،جئت لألقى ناراً على الأرض. (4)

ويقول الرب عندهم في العهد القديم ،،،الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك. (5)

ويقول ايضا ،،، وأحرقوا جميع مدنهاهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. (6)

كما يقول ،،، لأجل ذلك تأكل الآباء الأبناء في وسطك والأبناء يأكلون آباءهم(7)

نكتفي بهذا القدر ونعود إلى افتراءكم.. ولننظر معاً.. متى ذُكِرَ الرعب في القرآن؟

لقد ذُكِرَ في أربعة مواضع لم يكن للإرهاب أو الظلم فيها مكان، فأول هذه المواضع كان في الحديث عن موقعة بدر، وهذه الموقعة كانت لاسترداد بعض حقوق المسلمين التي اغتصبها المشركون، فأيد الله المسلمين ونصرهم على المشركين، فتغيرت بذلك نظرة العرب والقبائل المجاورة للرسول (ﷺ) وأتباعه، وشفى الله صدور المؤمنين، بالانتقام ممن أذلوهم وساموهم سوء العذاب من كفار مكة فقال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالُفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (8)

(2) (راعوث3: 4)

(3) [صحيح البخاري]

(4) (متى10: 34)

(5) (لوقا12: 49)

(6) (حزقيال9: 6)

(7) (عدد31: 10)

(8) (حزقيال5: 10)

(9) [الأنفال:12]

-والموضع الثاني في الحديث عن موقعة أحد، التي كانت حرباً دفاعية، حين بغى المشركون وطغوا، وأرادوا أن يهاجموا المسلمين في عقر دارهم، بعد أن تركوا لهم البلاد والأهل والمال، ولكنهم لم يكتفوا بذلك، وأرادوا أن يقضوا على الإسلام وأهله، فحال الله عز وجل بينهم وبين ما في قلوبهم، رغم ما أصاب المسلمين في سبيل الدفاع عن عقيدتهم وأرضهم، فطمأنهم الله عز وجل بأنهم إذا حاربوهم مرة أخرى فسيلقى في قلوب الذين كفروا الرعب فقال تعالى ﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَتْوًى الظَّالِمِينَ﴾ (1)

-والموضع الثالث في الحديث عن غزوة الأحزاب، حين تحزبت قريش وحلفاؤها على حرب رسول الله (ﷺ) وعزموا أمرهم على الهجوم عليه من جميع الجهات، ليدكوا المدينة عليه ومن معه، ولكن الله خيب سعيهم، ووفق المسلمين لحفر الخندق – الذي لم تعرفه العرب من قبل – بالمشورة المباركة لسلمان الفارسي رضي الله عنه ليس هذا فحسب، بل ألقى الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوب أعدائه، وأرسل عليهم الريح الشديدة، التي قلبت خيامهم، وقدرهم، وأمتعتهم، ففروا هاربين ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (2) وأمر الله تعالى رسوله الكريم بقتال بني قريظة الذين خانوا العهد معه، وتمالأوا عليه مع المشركين، ووافقوا أن يسمحوا لهم بالهجوم على المدينة من قبلهم، ولكن الله عز وجل رد كيدهم في نحورهم، وفرق شملهم، فكانت الحرب ضدهم جزاء خيانتهم، ونكتهم لعهدهم فقال تعالى ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (3)

- أما الموضع الرابع فقد جاء في الحديث عن غزوة بني النضير لما نكثوا عهدهم مع رسول الله (ﷺ) وحاولوا قتله (ﷺ) ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (4)

فأخبرونا بربكم أي المواضع الأربعة كانت إرهابية، أو لنصر الدين بالرعب كما تزعمون؟
ثم من الذي ألقى الرعب في قلوب الكافرين.. الله أم رسوله؟

وهل لو توحدت جيوش المسلمين للدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم، وحاربوا اليهود لتكون كلمة الله هي العليا، ويعود للمسلمين قدسهم، وللفلسطينيين وطنهم، فيلقى الله الرعب في قلوب أعدائه، فيفرون هاربين أمام جحافل المسلمين.. أليكون هذا إرهاباً؟

إن تسميته إرهاباً يُعَدُّ من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا غرابة في ذلك، فإنها شيمة أهل الكتاب.

إن غزوات الرسول (ﷺ) بلغت تسعة عشرة غزوة، جملة من قتلوا فيها من المسلمين والمشركين 386، وهذا بالمقارنة مع ما فعله الصليبيون واليهود مع المسلمين لا يصل إلى الواحد بالمائة، ويساوى تقريباً عشر قتلى الفتنة التي وقعت بين الكاثوليك والبروتستانت في عيد سان بارثيليمي.

(2) [آل عمران:151]

(3) [الأحزاب:25]

(4) [الأحزاب:26]

(1) [الحشر:2]

إن الدماء التي أريقَت في الحروب التي تقولون إن الإسلام انتشر بها، تعتبر كقطرة في بحر الدماء الذي صاحب تطبيق الشيوعية وسيطرة نفوذها، لقد ذبح الملاحدون مئات الألوف من المسلمين في شمال آسيا وشرقها، وبعد حرق رفات الضحايا زعموا أن الشيوعية تدعو للسلام!

وما زال الواقع القريب يشهد على المذابح الوحشية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك، والشيشان، وفلسطين، والعراق، والصومال، وكشمير، والفلبين، وغير ذلك من بلاد المسلمين، لدرجة أن الصَّرب النصارى كانوا يشقُّون بطون الحوامل المسلمات في البوسنة، ويرمون أطفالهن في القمامة، ويضعون في أرحامهن أجنة كلاب وقطط، فهل هذه أفعال آدمية؟ وهل بعد هذا وحشية؟

17- الرد على شبهة عدم انكار النبي (ﷺ) على قتل زيد بن ثابت لامرأة العجوز حين قتلها قتلاً عنيفاً.

لقد قتل (زيد بن ثابت) امرأة عجوزاً قتلاً عنيفاً، لأنها كانت تعادى نبيكم، وهي (أم قرفة) فشَدَّ رجلها بين بعيرين، ثم زجرهما فذهبا فقطعاها، ولم ينكر عليه نبيكم، فهل هذه هي الرحمة التي تصفونه بها؟

وللرد على هذه الشبهة نقول ،،، لقد جاءت الرواية في (طبقات ابن سعد) وعنه ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) ومدار الرواية على محمد بن عمر الواقدي، وهو شخص متهم بالكذب لدى علماء الحديث. والقصة أوردها ابن كثير في (البداية والنهاية) مختصرة، ولم يعلق عليها بشيء، وذكرها ابن هشام في (السيرة) وكلاهما عن محمد بن اسحق الذي لم يذكر سند الرواية، فالحاصل أن الرواية لم تصح، فلا يجوز الاحتجاج بها. والحمد لله

والواقدي هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي أبو عبد الله المدني قاضي بغداد مولى عبد الله بن بُرَيْدَةَ الأسلمي.

قال البخاري: الواقدي مَدِينِيٌّ سكن بغداد متروك الحديث، تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا(1)

وقال أحمد: هو كذاب. وقال يحيى: ضعيف، وفي موضع آخر: ليس بشيء. وقال أبو داود: أخبرني من سمع من علي بن المديني يقول: روى الواقدي ثلاثين ألف حديث غريب.

وقال أبو بكر ابن خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: لا يكتب.. حديث الواقدي ليس بشيء. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت عنه علي بن المديني فقال: متروك الحديث. قال النسائي في (الضعفاء والمتروكين): المعروفون بالكذب على رسول الله أربعة، وذكر منهم الواقدي بالمدينة، ومقاتل بخراسان، ومحمد بن سعيد بالشام.

يتضح مما سبق أن هذه الرواية موضوعة. وقد ذكرنا البشاعة في القتل والتنكيل والتمثيل بالجثث في الكتاب المقدس، فليرجع إليها القارئ لأن المجال لا يتسع لذكرها الآن والله أعلم.

18- الرد على شبهة قتل النبي (ﷺ) لأسير لا يحل قتله مخالفاً بذلك الأعراف الحربية.

(1) (تهذيب الكمال مجلد 26 ص 185-186)

إن محمداً الرحيم يخالف الأعراف الحربية ويقتل الأسرى، واقرأوا السيرة لتعلموا أنه قتل عُقبة بن أبى مُعَيْط، وهو أسير لا يَجَلّ قتله.

-وللرد على هؤلاء نقول ،،، إن عُقبة كان مشركاً شأن أهل مكة، ولكنه كان أشد الناس إيذاءً للإسلام والمسلمين، حتى إن الرسول (ﷺ) لم يَسَلِّم من إيذائه، فقد ألقى عليه سَلَى جَزور وهو يصلى (أي أحشاءها) كما جاء ذلك في صحيح البخارى، وجاء فيه أيضاً أنه خنق الرسول (ﷺ) خنقاً شديداً وهو يصلى في جِجْر الكعبة، فدفعه عنه أبو بكر رضى الله عنه وهو يقول: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} (1) كنا انه كان حليف اليهود في نقل الشبهات على رسول الله (ﷺ)، وكان من كبار المحرّضين على قتال المسلمين في غزوة بدر، ووصل به إجرامه أن بصق ذات يوم على وجه الرسول (ﷺ) أما سبب قتله وهو أسير، هو أن رسول الله (ﷺ) كان قد أهدر دمه قبل غزوة بدر، لشنائه على المسلمين المستضعفين في مكة، فلما حضرت الغزوة، كان في أوائل صفوف المشركين، وهو مهذور الدم سواء قبل المعركة أو بعدها، فلا حُرمة إذن لدمه، والله أعلم.

19- الرد على شبهة تمثيل وتشويه النبي (ﷺ) للجثث مع أنه كان ينهى عن ذلك.

ترعمون أن نبيكم ينهى عن المُمَثِّلَة وتشويه الجثث، بينما هو يفعل ذلك في أبشع الصور، كما جاء في صحيح البخارى أنه سَمَلَ أعين بعض اللصوص (أي فقأها) وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وحرّمهم من الماء، حتى ماتوا من العطش، ولم يرحمهم.

وللرد على هذه الشبهة نقول. ،،،إن الناقد المترجّم على هؤلاء القتلة اللصوص المرتدّين، الذين ارتكبوا حدّاً من أكبر حدود الإسلام، ألا وهو حدّ الجِرابَة، في أبشع صُورِه، غدر وخيانة، وقتل وسرقة (فضلاً عن الردّة) استدلّ بحديث (البخارى) ولم يستدل بما جاء في صحيح مسلم. يقول أنس بن مالك رضى الله عنه : إنما سَمَلَ النبي (ﷺ) أعين أولئك لأنهم سَمَلُوا أعين الرُّعاة. وجاء ذلك أيضاً في سنن الترمذى، وسنن النسائى، والسنن الكبرى للبيهقى، والمعجم الكبير والأوسط للطبرانى، وسنن الدار قطنى.

والقصة باختصار هي أن نَفَرًا من عُرَيَّة وعُكْل (أسماء قبائل) جاءوا إلى الرسول (ﷺ) في المدينة، وأعلنوا إسلامهم، ولم يناسبهم جَوّ المدينة فمرضوا، وأصابهم الاستسقاء، فاشتكتوا إلى الرسول (ﷺ) فبعثهم ليشرّبوا من ألبان إبل الصدقة وأبوالها، فَصَحُّوا (أي برئوا) ثم ارتدوا عن الإسلام، وسَمَلُوا أعين الرعاة (أو الراعى) وقتلوه، واستاقوا الإبل (أي سرقوها) وهربوا، أبعد ذلك تستكثرون عليهم ما فعله الرسول (ﷺ) بهم؟

إنها معاملة بالمثل، وتطبيق حدّ من حدود الله، قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} (2)

وقال: {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [المائدة:45]

إذن فالرسول (ﷺ) لم يظلمهم، ولم يعتدّ عليهم، بل هم الذين ارتدّوا، وقتلوا الرُّعاة، ومَتَّلُوا بهم، بعدما أطعموهم وعالجوهم، وسرقوا إبل الصدقة، فكان جزاؤهم من جنس فعلهم. والذي لا يعلمه الناقد الحاقّد – أو يعلمه ويخفيه – أن الرسول (ﷺ) قد طبّق عليهم قانون السماء، لأنه لا يملك

(2) [غافر:28]

(3) [المائدة:33]

إلا ذلك، فقد قال (ﷺ) ((تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب))⁽¹⁾ أي أن الحد إذا وصل إلى الحاكم وجب عليه تنفيذه. ولو أنه (ﷺ) صفح عنهم - فرضاً - لكان في هذا عبث، وتضييع لحقوق العباد، وإسقاط لهيبة الدولة الإسلامية، وحاشاه أن يفعل ذلك، وهو الذي قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: (وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله)⁽²⁾ [متفق عليه] فكان انتقامه منهم لانتهاكهم حُرُمات الله، وحتى لا يجزأ أحد بعدهم على مثل فعلهم.

وقد جاءت في الكتاب المقدس عقوبات شديدة وعنيفة ومنها: وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أثون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم⁽³⁾ كلمة (أثون) معناها فُرُن.

وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فُقُتِلَ وعلقتة على خشبة فلا تَبِتْ جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً⁽⁴⁾

20- الرد على شبهة قتال النبي (ﷺ) لليهود وطردهم من جزيرة العرب بعد عرض الإسلام عليهم.

إن محمداً عرض على اليهود الإسلام بعد دخوله المدينة، فلما رفضوا، أقام لهم المجازر الوحشية، فُقُتِلَ من قُتِلَ، وَفَرَّ مَنْ فَرَّ إلى الشام، ليتحقق له مُلك الحجاز، بدليل قوله: ((لا يَبْقَيْنَ دينان بأرض العرب))⁽⁵⁾

وللرد على هؤلاء نقول ،،، إن من يقرأ تاريخ اليهود على مر العصور، لا يشك لحظة أنهم أهل غدر وخيانة، ونقض للعهود والمواثيق، وهم الذين سبوا ربهم، وقتلوا أنبياءهم، فحدّث عن جرائمهم ولا حرج.

وكان يهود المدينة وما حولها على شاكلتهم، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، ويهود خيبر. وحين دخل الرسول (ﷺ) المدينة سألهم، وصالحهم، وعقد معهم عدّة اتفاقيات، تسمى بالمصطلح الحديث (حُسن الجوار) أو (الدفاع المشترك)

ولكن هيهات هيهات، فسرعان ما نقضت يهود بنو قينقاع عهد رسول الله (ﷺ) وحرقوا أسواق المسلمين، فصبر عليهم الرسول (ﷺ) ولم يعاقبهم، ثم لجأوا إلى حيلة دنيئة، فقام أحدهم بكشف عورة امرأة مسلمة في سوق اليهود، وتضاحكوا عليها، فاستغاثت بالمسلمين، فانتصر لها أحدهم، وقتل اليهودي الخسيس، فاجتمع اليهود وقتلوا ذلك المسلم، فأنبَرى لهم الرسول (ﷺ) وأجلّاهم من المدينة، ولم يقتل منهم أحداً كما يقول المدّعى.

أما يهود بنو النضير، فقد تأمروا على الرسول (ﷺ) وهو ضيف عليهم، ضاربين حُسن الضيافة، والنُّبْل، والمروءة - التي تعارف عليها العرب - غُرُض الحائط، وقام أحدهم بمحاولة إلقاء الرّحَى عليه من فوق جدار كان يجلس تحته، فأغلّمه ربُّه سبحانه وتعالى بمكرهم، فقام من قُورِه،

(2) [سنن أبي داود والنسائي، صحيح الجامع: 2954]

(3) [متفق عليه]

(4) (صموئيل الثاني: 12: 31)

(5) (تثنية: 21: 22-23)

(1) [موطأ مالك، صحيح الجامع: 4617]

وسير إليهم جيشاً، فتحصنوا منه في الحصون، فحاصروهم وأجلاهم عن آخرهم، ولم يقتل منهم أحداً كما يقول الناقد.

أما يهود بنى قريظة، فكانت خيانتهم أشد على الإسلام والمسلمين، وكانت بحق هي الخيانة العظمى، حيث إن موقعهم كان شمال المدينة المنورة، ولما كان المشركون قد تحزّبوا ضد الرسول (ﷺ) والصحابه رضوان الله عليهم عام غزوة الخندق، وحشدوا لقتالهم أكبر جيش عرفته الحجاز، قوامه عشرة آلاف مقاتل، حاصروا المدينة، وكان الرسول (ﷺ) قد حفر خندقاً بينه وبينهم، بالمشورة المباركة من سيدنا سلمان الفارسي رضى الله عنه فلم يبق لهذا الجيش العرمرم مدخل إلى المدينة إلا من ناحية اليهود، الذين كان الرسول (ﷺ) قد استأنهم ألا يعينوا عليه أحداً، حسب الاتفاقات المبرمة بينهم، وألا يؤتّى من قبّلهم، وإلا ستكون الكارثة المروعة على الإسلام وأهله.

وكان الرسول (ﷺ) قد جعل النساء والأطفال في حصن ناحية هؤلاء اليهود، فخانوه، وحاولوا التعرض لهم، وأرسلوا جاسوساً يستطلع حصنهم، فقتلته السيدة صفية - رضى الله عنها - عمّة الرسول (ﷺ) فتراجعوا عن مهاجمتهم، ظناً منهم أن معهم رجالاً مسلمين يحرسونهم.

وكانت الخيانة الأعظم من ذلك، أنهم سمحوا لجيوش المشركين أن يجتاحوا ديار المسلمين في المدينة من ناحيتهم، وكانت هذه الخيانة أسوأ خيانة تعرض لها الرسول (ﷺ) وكادت تعصف بالإسلام والمسلمين، لولا أن الله سلّم، فأوقع بينهم، وهزم المشركين، وفرق شملهم، وأرسل عليهم الريح التي اقتلعت خيامهم، وقلبت قدورهم ومتاعهم، فرجعوا خائبين، ونجّى الله المؤمنين بغير قتال.

وكان من الطبيعي أن يتفرغ الرسول (ﷺ) لهؤلاء اليهود الذين خانوا عهده، وتحالفوا مع المشركين ضده، فقتل مقاتلتهم، وسبى نساءهم وأطفالهم، وكان هذا أقل ما يجب فعله إزاءهم.

أما يهود خيبر، فقد قتلوا عبد الله بن سهل، أخا بنى حارثة، فكسروا عنقه، ودفنوه في بئر، وهو في رحلته إلى خيبر ليشتري تمرأ، فطلب منهم الرسول (ﷺ) دينته، فأذكروا قتله، فدفع الرسول (ﷺ) الدية لأهله، وصبر عليهم.

وقد كانت خيبر وكرّاً للدّس والتآمر، ومركز الاستفزازات العسكرية، ومعين التحرشات وإثارة الحروب، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على بُعد ستين ميلاً شمال المدينة، وكانت على أهبة الاستعداد لقتال المسلمين، وكانت هي الجديرة بالتفات المسلمين إليها، لأن أهل خيبر هم الذين حرّبو الأحزاب لقتال المسلمين، وحرصوا بنى قريظة على الغدر والخيانة، وكانوا يحرضون المنافقين داخل المدينة، وغطفان وأعراب البادية خارج المدينة، ووضعوا خطة لاغتيال الرسول (ﷺ) مما اضطر المسلمين إلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين، مثل سلام بن أبي الحقيق، وأسير بن زارم.

لكن الذى أحرّ المسلمين عن قتال يهود خيبر، أن هناك قوة كبرى متمثلة في قريش، كانت هي الألد والأخطر من اليهود، فلما انتهت هذه المجابهة بصلح الحديبية، صفا الجو لمحاسبة أولئك اليهود المجرمين.

وقد كان لليهود خيبر أصفياء في المدينة من المنافقين، وعلى رأسهم رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول، الذى أرسل إليهم أن محمداً قصدكم، وتوجّه إليكم، فخذوا حذرکم ولا تخافوا، فإنكم أكثر عدداً وعدة منه، وقوم محمد شردمة قليلون، وعزل لا سلاح معهم إلا القليل. واستعدى كنانة ابن أبى الحقيق

وهذا بن قيس غطفان، ورعل، وزكوان، وعصية، ليعينوهم على المسلمين، مقابل أن يعطوهم نصف خيبر، فنصر الله المسلمين عليهم، وفاوضهم الرسول (ﷺ) على حقن دماء مقاتلتهم في الحصون، وأن يترك لهم الذرية، شريطة أن يخرجوا من خيبر، ويتركوا كل شيء إلا ملابسهم، وقال لهم: ((بَرَأَتْ مِنْكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمُونِي شَيْئاً))⁽¹⁾ فكتموا وخانوا، فأجلاهم الرسول (ﷺ) من المدينة، بعدما قتل ابْنَيْ أَبِي الْحَقِيقِ، وَكِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ، لأنهم نقضوا العهد، وأخفوا مالا كثيرا لِحَيٍّ ابْنِ أَخْطَبٍ وَكَثَرُ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ.

يتضح جلياً مما سبق أن الرسول (ﷺ) لم يُقم المذابح المروعة كما قال هذا الحاقِد. ونقول له وأمثاله: إن المتتبع للتاريخ، والذي عنده منهج علمي استقرائي مستقيم، يشهد أن الوحشية، وشريعة الغاب، وحمامات الدم، لم تكن يوماً من الأيام من سجايا الإسلام والمسلمين، سواء كانت جيوشاً فاتحة، أو وفوداً مُعلّمة، وهذا بشهادة أهل العلم المنصفين، ولكنها كانت في اليهود، والمغول، والتتار، والحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش. ولا زالت نراها في أفغانستان، وكشمير، والشيشان، والبوسنة، وكوسوفا، وفلسطين، والعراق.. وأخيراً الصومال واليمن وسوريا. كل هذا يشهد على إجرام غير المسلمين، الذين قال الله فيهم: {وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا}⁽²⁾

21- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان من الحكام الدكتاتوريين.

إن محمداً يلجأ – كحُكَّام العرب الدكتاتوريين – إلى التصفية الجسدية، فقد أرسل مجموعة من القتلّة المحترفين، لاغتيال سلام بن أبي الحَقِيقِ اليهودي، وكعب بن الأشرف اليهودي، الذي كان شاعراً وفارساً وسيداً في قومه.

للرد على هؤلاء نقول ،،،، إن الرسول (ﷺ) لم يأمر بقتل سلام بن أبي الحَقِيقِ إلا لأنه كان العقل المدبر في تأليب المشركين واليهود على قتال المسلمين، وهو القائل لمشركي مكة – عُبَاد الأصنام – حينما سألوهم أُمُّ أُهُدَى أم محمد: (أنتم أهدى من محمد سبيلاً) مع علمه بأنهم على الباطل، وأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم على الحق، ولذلك نزل فيه قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً}⁽³⁾ أما كعب بن الأشرف، فقد نَحَى مَنْحَى لم يتخذه أحد قبله، وهو أنه – من خُسْته وذميم أخلاقه – هجا نساء النبي (ﷺ) ونساء الصحابة رضوان الله عليهم بأفحج الألفاظ، أضف إلى ذلك أنه كان رأس حُرْبَةٍ في قتل وإيذاء المسلمين، وكان شريكاً في تأليب المشركين على المسلمين في غزوة أحد مع سلام بن أبي الحَقِيقِ، فكان القتل لهما جزاءً وفاقاً.

ثم إن الذين يعيبون على رسولنا (ﷺ) أنه أمر بقتل (سلام بن الحَقِيقِ) و(كعب بن الأشرف) الذين سبوا واهانوا رسول الله ونساءه جاء في كتابهم المقدس أن الذي يشتم أبويه يُقتل، وقرأوا إن شئتم: ومن شتم أباه أو أمه يُقتل قتلاً⁽⁴⁾. فهل يوجد في الإسلام مثل هذا؟ وهل الأبوان أشد حُرْمَةً من رسول الله (ﷺ) ونسائه، رضى الله عنهن وأرضاهن؟، والله أعلم.

22- الرد على شبهة التشكيك في رحمة النبي (ﷺ) حين ارد احراق الناس اللذين لم يصلوا بالنار.

(2) [دلائل النبوة للبيهقي]

(3) [البقرة: 217]

(4) [النساء: 51]

(5) [خروج 21: 17]

إن نبي الرحمة – كما تقولون – يهدد أهل ملته، ويريد إحراقهم بالنار إن لم يصلوا في مسجده، كما ورد ذلك في الصحيحين.

ونقول لهؤلاء ،،، إن الرسول (ﷺ) لم يحرق أحداً أبداً، بل ولم يحرق أي كائن حي، حتى إنه نهى عن حرق قرية النمل، وقال: ((إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا ربُّ النار))⁽¹⁾ ويبدو أن السائل لا علم له باللغة العربية، لأن الحديث يقول: ((أُحْرَقَ عليهم بيوتهم)) ولا بد للموجود فيها أن يخرج حتى لا تصيبه النار، وكان البيوت سبب انقطاع الرجال عن المسجد، فالرسول (ﷺ) همَّ بأن يحرق السبب وهو البيوت، ولم يهَمْ بحرق الناس، لأن صلاة الجماعة لها في الإسلام شأن عظيم، وأجر كبير، وفوائد متعددة، وهي أفضل العبادات، ويضيق المقام عن ذكر فوائدها.

والرسول (ﷺ) هو القدوة، فلم يأمرهم بالصلاة في المسجد ويصلي هو في البيت، بل هو إمام المسلمين في كل الصلوات. ثم إنه (ﷺ) همَّ بالتحريق فقط، ولم ينقِذ ما همَّ به، وذلك من شدة غضبه عليهم، كمن يغضب على ابنه غضباً شديداً ويقول: لأفعلنَّ به كذا وكذا، ثم لا يفعل شيئاً، فمجرد الهمَّ بالشيء لا يؤاخذ عليه الإنسان، كما ورد ذلك في أحاديث الرسول (ﷺ) بخلاف ما ذكر حقيقة أن الكتاب المقدس أمر بإحراق المدن بمن فيها وما فيها. وجاء فيه أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعاقب قوماً، ثم رجع في كلامه (بزعمهم) ولم يعاقبهم: فيقولون ،،، فتمرد الأبناء على. لم يسلكوا في فرائض ولم يحفظوا أحكاماً ليعملوها التي إن عملها إنسان يحيا بها ونجسوا سبوتى فقلتُ إني أسكبُ رجزى عليهم لأتيمَّ سخطى عليهم في البرية. ثم كففتُ يدي⁽²⁾ مع أن هذا يتناقض مع النص التالي الذي يؤكد أن الله لا يرجع في كلامه: ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل. أو يتكلم ولا يفى⁽³⁾. والله أعلم.

23- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) أشجع الشجعان ومع ذلك خرج للهجرة متخفياً، وخرج عمر – رضي الله عنه – علانية.

تقولون إن نبيكم (أشجع الشجعان) مع أنه خرج في الهجرة متخفياً من قومه، بينما خرج عمر بن الخطاب علانية، أليس كان الأجدر بنبيكم أن يفعل مثله، حتى يستحق هذا اللقب؟

وللرد نقول إن الرسول (ﷺ) قدوة لكل الأمة، أقويائها وضعفائها، فقد خرج علانية على الشباب الواقفين ببابه، وهم مدججون بالسلاح ليقتلوه، غير خائفٍ منهم، بل كان متوكلاً على الله سبحانه وتعالى، ولم يكتفِ بذلك، بل حثاً على رءوسهم التراب، وقرأ عليهم قول الله تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}⁽⁴⁾

فكان في خروجه هذا أقوى وأشجع من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمّا خروجه من عند أبي بكر رضي الله عنه فكان خُفياً، ولهذا يكون الله عز وجل قد جمع له بين الأمرين.. خروج الأقوياء وخروج الضعفاء، ليكون قدوة لكلا النوعين من المسلمين. وفي خروجه متخفياً فوائد أخرى غير قدوته للضعفاء، فقد علّم الأمة التخطيط الدقيق، والأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، فبعدما اجتهد في التخفي، حتى وصل إلى غار ثور، تتبّع الكفار آثاره، حتى

(2) [صحيح الجامع: 2425]

(3) (حزقيال: 20-22)

(4) (عدد: 23: 19)

(5) [يس: 9]

وصلوا إلى الغار، ولكنه لم يَخَفْ منهم، وقال لأبى بكر بكل يقين: ((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟)) (1)

فالمطلوب من العبد أن يبذل كل ما في وسعه من الأسباب التي مكَّنه الله منها، ولكن لا يتوكل عليها، بل يتوكل على الله جل وعلا، لأنه هو الذى يكلل سعيه بالنجاح فقال تعالى {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (2)

ولو خرج الرسول (ﷺ) للهجرة بغير تدبير ولا تخطيط، لَمَا كان قدوة لأمته في التدبير والتخطيط، وإعمال العقل، والأخذ بالأسباب، ولقالوا: لقد خرج بحفظ الله له لأنه نبي، وأننى لنا بذلك؟ وليس معنى هذا أن الأسباب التي اتخذها هي التي نَجَّتْه، أو أن الله لم يحفظه، ولكنه فعل أقصى ما في وسعه – فكما قلنا – إن المشركين وصلوا إلى المكان الذى اختبأ فيه في غار ثور، ولولا الله سبحانه وتعالى ما نجا. وهناك دروس أخرى كثيرة من الهجرة المباركة يُرَجَّع إليها في كتب السيرة.

والذين ينسبون الخوف لنبينا (ﷺ) لا ينسبون لمعبودهم الخوف فقط، بل وينسبون له الانزعاج، والاكتئاب، والحزن، والبكاء.

فيقول كتابهم المقدس: فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها سيكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وانظر. بكى يسوع (3). فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر (4). ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم نفسى حزينه جداً حتى الموت (5).

وكذلك،،، فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه. فلم يكن يسوع أيضاً يمشى بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها أفرام ومكث هناك مع تلاميذه (6) وايضا،،،، وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل. لأنه لم يُرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه (7)

وايضا،،،، فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختموا وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا (8)

ونحن نسألهم: لو كان المسيح إلهاً – كما تقولون – فلماذا كل هذا الخوف والحذر من اليهود الذين أرادوا قتله؟ أليس المفروض أنه يعلم الغيب، ويعلم أنه لن ينجو منهم؟ وإذا كان قد جاء ليفتديكم بنفسه – كما تقولون- فلم كان يهرب منهم؟، والله أعلم.

(2) [صحيح مسلم]

(3) [التوبة: 40]

(4) (يوحنا 11: 33-35)

(5) (يوحنا 11: 38)

(6) (مرقس 14: 33-34)

(7) (يوحنا 11: 53-54)

(8) (يوحنا 7: 1)

(1) (يوحنا 8: 59)

24- الرد على شبهة التشكيك في مشاهدة النبي (ﷺ) لجبريل - عليه السلام - في غار حراء.

تقولون إن نبيكم شاهد جبريل في غار حراء, أليس من المحتمل أن يكون قد رأى أشباحاً, أو تكون هذه حالة نفسية اعترته, مثل من يرى أشياء لا وجود لها؟ وتقولون إنه كان يأتيه الوحي فيستلقى على الأرض ويغطونه بالبُرْدَةِ, أليس من الممكن أن يكون هذا تمثيلاً؟

نقول لهؤلاء - لماذا أنكرتم هذا الأمر على نبينا (ﷺ) ولم تنكروه على معبودكم, الذي قال عنه كتابكم: فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السَّمَوَاتُ قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه. وصوت من السَّمَوَاتِ قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ(1)

وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئةً جسميّة مثل الحمامة وكان صوتاً من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررتُ(2)

لقد أنكرتم على نبينا صلى الله عليه وسلم رؤية الملاك, في حين أن كتابكم المقدس أثبتته حتى لنسائكم: فترأى ملاك الرب للمرأة(3)

وايضاً أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى. وفيما هي تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكَيْنِ بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً(4).

إن المصاب بحالة نفسية, تكون له أحوال غير طبيعية, يعرفها المقربون منه, والرسول (ﷺ) لم يُعرَف عنه قط أنه كما يقولون (يهلوس) أو تعتريه أي حالة نفسية غريبة, بل كان معروفاً بالحكمة, والصدق, والأمانة, وغير ذلك من الصفات الحميدة, التي لا يمكن أن تكون في رجل غير سويّ.

ثم إنه لو كان يتخيل.. فهل الخيال يأتي بخير؟ هل وجدنا إنساناً تخيل رؤية شيء لا وجود له, ثم بعد ذلك أخبرنا أن الذي رآه أمره بخير, أو نهاه عن شر, أو وضع منهجاً لحياته؟

أما استلقاؤه (ﷺ) على الأرض حين كان ينزل عليه الوحي, فإن هذا من شدة ما كان يعتريه حال نزوله عليه, لأن التقاء ملك بإنسان ليس بالأمر الهَيِّن, فالطبيعتان مختلفتان, وهذه صورة من

(2) (متي 3: 16-17)

(3) (لوقا 3: 21-22)

(4) (قضاة 13: 3)

(5) (يوحنا 12: 11-12)

صور نزول الوحي عليه، وهناك صور أخرى قال عنها (ﷺ) : ((أحياناً يأتيني - يعنى الوحي - في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) (1)

وحالة مجيء الوحي على هيئة رجل معروفة في الحديث الذي رواه سيدنا عمر رضي الله عنه في [الصحيحين] حين سأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأشرط الساعة.

ولو كان الرسول (ﷺ) يمثل كما يقولون، فهل كان يمثل العرق؟ إن السيدة عائشة - رضي الله عنها - تقول: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً (2)

وهل كان (ﷺ) يمثل ثقل فحذه؟ لقد كان ذات مرة جالساً واضعاً فحذه على فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه ثم نزل عليه الوحي، فتغشاه ما كان يتغشاه، وثقلت فحذه على فخذ زيد، حتى كادت أن ترضها (أي تكسرها) كما ورد في (3)

وذات مرة كان راكباً ناقته القصواء، فنزل عليه الوحي، فتقل على الناقة، فناخت به حتى كادت أن توقعه على الأرض. وأحياناً كان سيدنا عمر رضي الله عنه يسمع بالقرب من صدره أزيزاً كأزيز النحل عند نزول الوحي عليه، فهل كل هذا كان تمثيلاً؟، والله أعلم.

25- الرد على شبهة التشكيك في قول النبي (ﷺ): "أن تلد الأمة ربتها" في حديث علامات الساعة.

يقول المغرضون : تقولون إن جبريل جاء لنبيكم، وسأله متى تكون الساعة، فقال له: ((ما المسئول عنها بأعلم من السائل)) قال: فأخبرني عن أماراتها، فقال له: ((أن تلد الأمة ربتها))... إلى بقية الحديث الذي ورد في الصحيحين، وما رأينا للآن أن الأمة تلد ربتها!

ونقول لهؤلاء - الله أكبر.. صدق الله ورسوله.. إن هذا جزء من حديث صحيح، ولكنهم لم يفهموا معناه، وقد تحقق كما قاله الرسول (ﷺ) . لقد كان العلماء في الماضي يقولون إن معنى هذا الحديث، ما نشاهده من أن الأم الأمية التي لا تعرف القراءة والكتابة، تلد الطبيبة والمهندسة والمعلمة... إلخ، أو أن المرأة تلد من تكون عاقّة لها، متسلطة عليها، تأمرها وتنهاها، وكأنها سيدتها، وأمها تطيعها خوفاً منها، وكل هذا الكلام أثبتته الواقع، ولكن وفوق هذا ظهر في عصرنا ما يناسب ويقارب معنى الحديث تماماً، وهو أن بعض النساء الغنيات المترفات لا يُردن أن يشوّهن أجسادهن بالحمل، ولا يردن أن يعطلهن عن السفر للنزهة واللهو واللعب.. فماذا فعلن؟

لجأ البعض منهن إلى ما يسمى (الأم البديلة) كيف هذا؟ يأخذ الطبيب منها البويضة، ويأخذ الحيوان المنوى من زوجها، ثم يقوم بعمل ما يُسمّى (طفل الأنابيب) بأن يضع الحيوان المنوى والبويضة متقاربين في وعاء خاص، ويوضع هذا الوعاء في ظروف معينة، حتى إذا تم التخصيب (اختراق الحيوان المنوى للبويضة) وبدأت الخلية المخصبة في الانقسام إلى عدة خلايا.. قام بوضعها في رحم الأم أو الخادمة، فتنمو في رحمها وتكبر إلى أن تلد (وهذا حرام) ففي هذه الحالة من تكون الأم الحقيقية؟ طبعاً هي المرأة المترفة، وتصبح هذه المولودة سيدة من

(2) [موطأ مالك، سنن الترمذي، صحيح الجامع: 213]

(3) [موطأ مالك، سنن النسائي]

(4) [صحيح البخاري]

ولدتها (الأم البديلة) فسبحان من قال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (1) والله أعلم

26- الرد على شبهة أن القرآن ذكر أن النبي (ﷺ) على خلق عظيم فلماذا عبس في وجه الرجل الأعمى؟

يقول المغرضون: كيف يدعى القرآن أن نبيكم على خلق عظيم، في حين أنه عبس في وجه الرجل الأعمى الفقير عبد الله بن أم مكتوم؟

وللرد نقول ،، إن رسول الله (ﷺ) هو أعظم الناس خُلُقاً، حقاً، وصدقاً، ويقيناً، كما وصفه ربنا تبارك وتعالى، وعبوسه في وجه عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه كان لحرصه الشديد على هداية قومه، وعلى السادة منهم، لأنهم لو أسلموا لاتبعهم الكثير والكثير، لشرفهم في قومهم، وكثرة أتباعهم من الزوجات والأولاد والعبيد، والرسول (ﷺ) لم ينهر عبد الله، ولم يسبه، ولم يأمر أحداً بإخراجه من عنده، بل غاية ما فعله أنه عبس، لأن عبد الله قطع عليه الكلام، وكان الرسول (ﷺ) يود أن ينتظره حتى يكمل حديثه، فإن الإنسان حين يكظم غيظه يظهر على وجهه بعض العبوس، ولا يستطيع إخفاءه كلياً، وعبوس الرسول (ﷺ) لم يكن احتقاراً له، فهو الذى جعله يؤذن لصلاة الفجر، فقال: ((إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم)) (2) ثم لو كان النبي (ﷺ) هو الذى ألف القرآن – كما يدعى المغرضون – لما أخبرنا عن هذا العبوس، ولو أنه قصر في تبليغ آيات الله، أو حذف شيئاً منها، لحذف هذه الآية.

والذين يعتبرون مجرد عبوس الرسول (ﷺ) في وجه الأعمى الذى لا يراه ينافي حسن الخلق، ماذا يقولون عن سب معبودهم لتلاميذه ومحبيه؟

فقد جاء في كتابهم المقدس: فالتفت وقال يا بطرس اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لى (3) مع العلم أن (بطرس) مُعْظَم عندهم بنص كتابهم الذى قال: وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات (4). والله أعلم.

27- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان متواضعاً فكيف نفى القرآن عنه هذه الصفة؟

يقول المغرضون ،، تقولون إن نبيكم كان متواضعاً، وأنه كان يعطف على الفقراء والمساكين، ثم ينفي القرآن صفة التواضع عنه، فيقول: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} (5)

(2) [النجم:3-4]

(3) [متفق عليه]

(4) (متي:16:23)

(5) (متي:16:18-19)

(6) [الأنعام:52]

وها هو يطردهم يريد زينة الحياة الدنيا {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}(1)

وللرد نقول ،،، إن ما حدث هو أن بعض السادة من المشركين طلبوا من الرسول (ﷺ) أن يجعل لهم يوماً يستمعون فيه إلى حديثه، ويجعل للفقراء والعبيد يوماً، فقد كان هناك تفاوت طبقي رهيب بين السادة والعبيد، فلما رأى السادة من المشركين أن بلالاً وصُهيياً وخبّاب ابن الأرت، وغيرهم من العبيد، يجلسون بجوار أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم من وجهاء القوم من المسلمين – رضى الله عنهم أجمعين – لم يعجبهم هذا الأمر، وقالوا له: (أُتْجِلُّسُنَا بجوار هؤلاء العبيد؟ إن رائجتهم تؤذينا، فإن أردت أن نسمع منك، فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً) وذلك (بمنطق المتكبرين) كما لو أردت أن تجلس جُندياً بجانب لواء، أو عامل نظافة بجانب وزير، والرسول (ﷺ) كان حريصاً كل الحرص على هداية الناس أجمعين، فهو الذى رأى النار وأهلها بعينيه ليلة المعراج، وهو الذى قال: ((والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفراش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله)) (2) فالرسول (ﷺ) لم يجبههم إلى طلبهم، ولكنه فكر فيه مجرد تفكير، ولم يكن ذلك لمصلحته الشخصية، ولكن حرصاً على هدايتهم كما قلنا، فقد كان حزيناً عليهم أشد الحزن، لدرجة أن حزنه عليهم كاد يقتله، كما قال له ربنا تبارك وتعالى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(3) وقال: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}(4) فمجرد تفكيره هذا لم يرض الله عز وجل، فأنزل عليه هذه الآيات لنلا يجيبهم إلى ما طلبوه، فإن الميزان عند الله سبحانه وتعالى بالتقوى والعمل الصالح، وليس بالجاه أو المال أو الولد، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}(5) وقال: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ}(6) وقال رسوله (ﷺ): ((إن الله تعالى لا ينظر إلى صُوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) (7) فهو سيّد المتواضعين، صلوات ربي وسلامه عليه، وهو الذى رآته امرأة ذات مرة يأكل وهو جالس القُرْفُصَاء، فقالت: إنه يجلس جلسة العبد (لأن العبد يجلس هذه الجلسة ليكون مستعداً للقيام بسرعة إذا طلب منه سيده أي شيء) فقال: ((أكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد)) (8) أما قوله تعالى: {تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فهو للفت نظره أن هذا فعل من يريدون زينة الحياة الدنيا، لنلا يكون مثلهم، كما أن أي توجيه للرسول (ﷺ) هو توجيه لأُمَّته من باب أولى.

ثم إن الرسول (ﷺ) لم يثبت عنه قط أنه طرد أحداً من المسلمين، ولو كان أفقر الفقراء، حتى ولا أحداً ممن عُرفوا بالنفاق، أين هذا مما جاء في كتابكم المقدس، من وصف معبودكم للمرأة التي استنجدت به بالكلاب؟

(2) [الكهف:28]

(3) [سنن الترمذي، صحيح الجامع:2449]

(4) [الشعراء:3]

(5) [الكهف:6]

(6) [الحجرات:13]

(7) [سبأ:37]

(8) [صحيح الجامع:1862]

(9) [مصنف عبد الرزاق، أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم441]

وها هو الدليل: ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً. فلم يُجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة. فأنت وسجدت له قائلة يا سيد أعني. فأجاب وقال ليس حسناً أن يؤخذ خُبز البنين ويُطرح للكلاب. فقالت نعم يا سيد. والكلاب أيضاً تأكل من الفُتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريد. فشفيّت ابنتها من تلك الساعة⁽¹⁾

وقد أمر تلاميذه ألا يسلموا على أحد في الطريق، فقال: ولا تسلموا على أحد في الطريق⁽²⁾ أين هذا من قول رسولنا (ﷺ) لمن سأله أي الإسلام خير: قال ((تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))⁽³⁾ والله أعلم.

28- الرد على شبهة التشكيك في رحلة المعراج فمن الذين رآهم النبي (ﷺ) في الجنة والنار ولم تقم القيامة بعد؟

إن يوم القيامة لم يأت بعد، فمن الذين رآهم نبيكم في الجنة والنار ليلة المعراج؟ وللدرد نقول ،،، إن أول شيء خلقه الله القلم، وأمره أن يكتب كل شيء، قال رسول الله (ﷺ): ((إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد))⁽⁴⁾ إن كل شيء في الوجود منذ خلق الله السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة في كتاب عند الله جل وعلا، قال تعالى: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}⁽⁵⁾

وقال: تعالى {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}⁽⁶⁾

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – وغيره في تفسيرها: تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقبلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في القَدَم على العباد قبل أن يخلقهم، فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ثم قرأ: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ومعنى كلامه رضى الله عنه أن الملائكة تكتب أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فتجدها مطابقة تماماً لما كُتِبَ في اللوح المحفوظ من القَدَم، ولكن ليس معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى فرض الأعمال على العباد، ولكنه عَلِمَهَا قبل أن يعملوها. إذن فأعمال العباد، ومآلهم إلى الجنة أو النار، مكتوبة عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك فقد تمكن الرسول (ﷺ) من رؤيتها ليلة المعراج، ولا يستبعد ذلك أحد، فأنه على كل شيء قدير، وقد وصل الإنسان إلى تصوير الأحداث بكاميرات الفيديو، وكأنها ماثلة أمام العيون حال وقوعها، وقد تمكن من تسجيلها لساعات طويلة على أقراص الليزر الصغيرة، وتوصل إلى اختراع جهاز الموجات الصوتية ثلاثي الأبعاد، وكذلك التلفاز ثلاثي

(2) (متي 15: 21-28)

(3) (لوقا 10: 4)

(4) [متفق عليه]

(5) [صحيح الجامع: 2017]

(6) [يونس: 61]

(1) [الجاثية: 29]

الأبعاد، الذي يجعل المشاهد يرى الأشياء مجسّمة، وكأنها أمامه وليست مُصوَّرة، فإذا كان هذا تصوير العبد الضعيف الفقير قاصر العلم، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟، والله أعلم.

29- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) كان يمنع سكان مكة من الحج بحجة أنه المشركين نجس.

إن محمداً يمنع سكان أهل مكة الأصليين من الحج، بحجة أن المشركين نجس.

وللرد على هؤلاء نقول ،،،، إن سيدنا محمداً (ﷺ) لم يمنع أهل مكة من الحج، إلا المشركين منهم، وذلك لعدة اعتبارات إيمانية وأخلاقية، فأما الإيمانية فلأنهم عبَادُ أصنام، يشركون بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وهذا بيت الله الحرام، وقد أمر الله نبيه بما أمر به إبراهيم – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – أن يطهر بيته من هذه الأوثان، فلا مكان إذن للمشركين فيه. أما الناحية الأخلاقية فهي أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُرَاة، رجالاً ونساءً. أما قول الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} (1) فهي نجاسة معنوية متعلقة بقلوبهم لا بأبدانهم، لأنهم عبدوا مع الله آلهة أخرى، وليست نجاسة جسدية. ثم إن غالب أهل مكة قد أسلموا في الفتح، إلا بضع أفراد يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة، فأين ما زعمه الناقد؟

إن الذين يتهمون الرسول (ﷺ) بالدكتاتورية في طرده للمشركين من الجزيرة العربية، جاء في كتابهم المقدس إبادة الشعوب المشركة بكاملها، بما فيها من بهائم لا ذنب لها، بل وحرقت كل أمتعتها، فيقول: إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً قد خرج أناس بنو لثيم من وسطك وطوّخوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها وفحصت وفُتِّشتْ وسألت جيداً وإذا الأمر صحيح وأكد قد عُمِلَ ذلك الرجس في وسطك فضرِباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبْنَى بعد (2). والله أعلم.

30- الرد على شبهة أمر النبي (ﷺ) الصحابة بالسب والشتم كما في قوله: "إذا رأيتم الرجل يتعرّى بعزاء الجاهلية، فأَعْضُوهُ بِهِنْ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا".

إن نبيكم يأمركم بالسب والشتم، فيقول: ((إذا رأيتم الرجل يتعرّى بعزاء الجاهلية، فأَعْضُوهُ بِهِنْ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا)) (3)

وللرد على هؤلاء نقول ،،،، لقد كان رسول الله (ﷺ) أشد حياءً من العذراء في خِدرها (4) وهو الذي نهى عن السب والشتم في أحاديث كثيرة معلومة، لدرجة أنه نهى عن سبِّ الشيطان، فقال: ((لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شرّه)) (5) ولو أفضنا في الكلام عن خلقه العظيم (ﷺ) ما وسعنا المقال. ولكن لماذا أمرنا الرسول (ﷺ) بسبِّ من تعرّى بعزاء الجاهلية؟

(2) [التوبة:28]

(3) [تنبيه:13-12:16]

(4) [صحيح الجامع:567]

(5) [صحيح الجامع:4799]

(1) [صحيح الجامع:7318]

اولا ،،، ما هو عزاء الجاهلية الذى استحق فاعله هذا العقاب؟

لقد قال العلماء: إن عزاء الجاهلية هو أن يتفوه الإنسان إذا أصيب بمصيبة بأقوال لا ترضى الله جل وعلا، كأن يقول: لماذا يا رب فعلت بى كذا وكذا، أو كالذى ينعى حظّه، ويقول: وامصيبتاه، واحسرتاه، واخيبتاه... إلى غير ذلك من ألفاظ التسخط على قدر الله. وقالوا أيضاً: إن معناها التفاخر بالآباء، والأحساب، والأنساب... إلخ. ولهذا جاء هذا التحذير الشديد من الرسول (ﷺ) لمثل هؤلاء، ليكون رادعاً لهم عن مثل هذه الأقوال، التي لا يستحقون عليها الشتم فقط، بل ويستحقون عليها العذاب في جهنم، قال (ﷺ): ((من دعا بدعوة الجاهلية فهو من جثاء جهنم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله التي سمّاكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله))⁽¹⁾

وقال: ((ومن ادّعى دعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم)) قيل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: ((وإن صام وصلى، تداعوا بدعوى الله الذى سمّاكم بها المؤمنين المسلمين عباد الله))⁽²⁾

والحديث الذى ورد في هذه الشبهة ليس فيه تصريح بكلمة سيئة كنا زعم هؤلاء وإن كان المعنى واحداً، ولكن الذين يشنعون على الرسول (ﷺ) بهذا الحديث، جاءوا بألفاظ صريحة بدلاً من ألفاظ الحديث، ليلفتوا الأنظار إلى ما يقصدونه من الطعن على رسول الله (ﷺ) ولم يذكروا مساوئ التعزى بعزاء الجاهلية، والتي ذكرنا بعضاً منها، ولم يذكروا أن هذه العبارة كانت شائعة على السنة العرب، ولم يبتدعها الرسول (ﷺ) من نفسه، ولم يسمح بها إلا في هذا الموضع. فالمسلم عفيف اللسان، ولكن حين يسمع من يعترض على قدر الله، أو ينتسب إلى غير الإسلام، فله أن يسب من فعل هذا سباً صريحاً، ليزجره عن قوله.

فعرّتنا بالإسلام وحده، ولا عِزّة لنا بغيره، كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه: (كنا أدلّة فأعرّنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العِزّة في غيره أدلّنا الله) ولكن ينبغى أن يكون هذا السب في أضيق الحدود، لأن الرسول (ﷺ) نهى عن الفحش والتفحش، فقال: ((ما كان الفحش في شيء قط إلا شأنه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه))⁽³⁾

وقال: ((ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي))⁽⁴⁾ لدرجة أنه عندما دخل عليه اليهود وقالوا له: (السّام عليك يا محمد) و(السّام) هو الموت، لم يردّ عليهم إلا بقوله: ((وعليكم)) وحين ردّت عليهم السيدة عائشة - رضى الله عنها - قال لها: ((مّة يا عائشة! فإن الله لا يحب الفحش والتفحش)) [صحيح مسلم] وقال لها في رواية أخرى، في صحيح مسلم أيضاً: ((يا عائشة لا تكوني فاحشة))

وقد قال العلماء: إن المقصود من الحديث هو الزجر الشديد عن هذه الأقوال، لأن من سمع هذا التحذير فلن يجزأ على قولها، لأنه يعلم مَعْبَتُها، وحينئذ لن يكون هناك سب ولا شتم، وذلك كالذى يعلم أنه لو سرق لقطعت يده، فلن يُقدِم على السرقة، ولن تُقَطَّع يده.

(2) [صحيح الجامع:1724]

(3) [صحيح ابن جبان]

(4) [صحيح الجامع:5655]

(1) [صحيح الجامع:5381]

31- الرد على شبهة تقسيم الكذب إلى أبيض وأسود.

إن نبيكم يقسم الكذب إلى نوعين، أبيض وأسود، والمعروف أن الكذب مذموم عند كل الناس، فكيف يحلله نبيكم؟

وللرد على هؤلاء نقول ،، لا يوجد دين حارب الكذب مثل الإسلام، أما الكتاب المقدس فقد وصف كثيراً من الأنبياء بأنهم كذّبة، وقد جاء فيه أيضاً أن المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – كذب على إخوته حينما دعوه للصعود معهم في عيد (المظال) وتظاهر بأنه لن يذهب معهم، ثم ذهب فقال : اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لستُ أصعدُ بعد إلى هذا العيد لأن وقتي لم يكمل بعد. قال لهم هذا ومكث في الجليل ولما كان إخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو أيضاً إلى العيد لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء(1).

ثم إن أدلة تحريم الكذب في الإسلام لا تعد ولا تحصى، منها قوله (ﷺ) : ((عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً)) (2) ليس هذا فحسب بل وجعل الكذب من صفات المنافقين في قوله (ﷺ) : ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)) (3) حتى إنه (ﷺ) نهى عن الكذب ولو في المزاح، فقال: ((ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له)) (4)

وقال ايضاً : ((أنا زعيم بببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحِقّاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلُقَه)) (5) وأما الكذب الذي يتحدثون عنه فرغم ان هناك أنواعاً من الكذب ترتاح لها الفطرة السليمة، جَمَعَهَا قوله (ﷺ) في هذا الحديث: ((كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاثاً: الرجل يكذب في الحرب، فإن الحرب خُدعة، والرجل يكذب المرأة فيرضيها، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما)) وهذا الحديث ضعّفه الألباني، ولكن معناه صحيح، وهذه الأنواع الثلاثة من الكذب هي التي أحلّها علماء المسلمين، حتى ولو كان قائلها وَلِيّ من أولياء الله الصالحين.

أما النوع الأول فهو الكذب على الأعداء، بشرط ألا يكون فيه نقض لعهد أو أمان، قال رسول الله (ﷺ): ((الحرب خُدعة)) (6) ولا شك أن هذا الكذب من المباحات، إذ كيف نصدّق مع عدونا؟ أنفسى له أسرارنا ليغصب أرضنا، ويسفك دماءنا، ويهتك أعراضنا؟ وهل إفشاء الأسرار من خطط حربية، ومواقع عسكرية، وأنواع الأسلحة والذخيرة، وأماكن وجودها، وأماكن منصّات

(2) (بوحنّا: 7: 10-8)

(3) [صحيح مسلم]

(4) [صحيح الجامع: 16]

(5) [سنن أبي داود، صحيح الجامع: 7136]

(6) [صحيح الجامع: 1464]

(1) [متفق عليه]

إطلاق الصواريخ... إلخ يقوله عاقل؟ إن هذا يعتبر من الجرائم العُظمى، التي يُعاقب عليها في بعض البلدان بالقتل. والمُخادعة في الحرب فيها حقن للدماء وتحقيق للغاية أكثر من المواجهة.

أما النوع الثاني فهو الكذب على الزوجة، كأن تكون دمية فيقول لها إنها جميلة، أو أنه لا يحبها فيكذب عليها ويقول إنه يحبها، وذلك لعمارة البيوت، ودوام العشرة، وتربية الأولاد. ولكن لا يعني هذا أنه يكذب عليها في كل شيء، بل هو مباح في مثل ما قلناه، أو ما شابهه من الإصلاح وتجنب الخلافات. وهي أيضاً يمكنها أن تكذب عليه فتقول إنها تحبه وهي على غير ذلك، حتى لا يغضب عليها أو يطلقها.

أما النوع الثالث فهو للصلح بين المتخاصمين، كأن تقول لأحدهما: إن فلاناً يحبك ويمدحك، ويقول عنك كذا وكذا، وتقول للآخر مثل ذلك، وهذا لإصلاح ذات البين، فقد قال الله سبحانه وتعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} (1) وقال رسوله (ﷺ) ((ليس بالكاذب الذي يُصلح بين الناس فيقول خيراً أو يُنمى خيراً)) (2) وقال: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة)) (3) ((الحالقة)) أي أنها تحلق الدين ولا تحلق الرأس (كما جاء في رواية أخرى) لأن المشاحن يغتاب صاحبه، ويتربص به الدوائر، ويتمنى له الشر، وغير ذلك مما يثير الأحقاد والعداوة بين المسلمين، وكذلك فإن الخصومة بين المسلمين تعرضهم لعدم مغفرة ذنوبهم، قال رسول الله (ﷺ): ((تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا)) (4) إذن هم ثلاثة أنواع فقط، ليس لهم رابع، وليس من عاقل في الدنيا يعتبر هذه الأنواع كذباً مذموماً.

ولكن هناك نوعاً آخر لا يسمى كذباً، ولكنه تعريض، وهذا لا يُستعمل إلا في الضرورة القصوى، كأن يتعرض الإنسان لمهلكة، ويريد أن ينجو منها، أو لأنه لو قال الحق الصريح، فسيعرض غيره للخطر أو يفشى سره، ففي هذه الحالة يقول كلمة صادقة، ولكنها تُفهم بمعنى آخر، وذلك كما فعل الصديق رضي الله عنه حين هاجر مع النبي (ﷺ) إذ لقيه رجل وسأله من هو؟ فلو قال له إنه رسول الله لبُغ عنه قريشاً، ولتعقبته لتقطع عليه هجرته، فقال له: (إنه هادي يهديني إلى الطريق) فهو صادق في قولته، ولكن الرجل فهمها على أنه دليل يريه الطريق الذي يريد أن يسلكه. ولكن لا يجوز استخدام المعاريض في الشهادة، أو لتضييع الحقوق، أو غير ذلك مما يغضب الله جل وعلا، قال رسول الله (ﷺ): ((إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)) وقد ضعفه الألباني، ولكنه معمول به عند أهل العلم، بشرط ألا يتعود عليه الإنسان، لأنه يُفضى به إلى الكذب، ولا يكون إلا في الضرورة كما قلنا، وألا يوقع به ضرراً على أحد، والله أعلم

(2) [الأنفال:1]

(3) [رواه الطبراني في الكبير]

(4) [صحيح الجامع:2595]

(1) [موطأ مالك، صحيح الجامع:2970]

32- الرد على شبهة كيفية الجمع بين حديث " أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة" وحديث " إن أول ما يُحكّم بين العباد في الدماء".

يقول نبيكم: ((أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله))⁽¹⁾

ويقول: ((إن أول ما يُحكّم بين العباد في الدماء))⁽²⁾ فنحن لا ندري أ تكون المحاسبة أولاً على الصلاة، أم على الدماء؟

وللرد ،، ((أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة)) إن هذا في حق الله جل وعلا، أما الحديث الآخر المتعلق بالدماء فهو في حق العباد، ويجمع بين الحديثين حديث واحد يوضح هذا المعنى، وهو قوله: (ﷺ) ((أول ما يُحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يُقضى بين الناس في الدماء))⁽³⁾ والله أعلم.

33- الرد على شبهة منع النبي (ﷺ) لعلي - رضي الله عنه - من الزوج بأخرى مع أن الشرع أجاز ذلك.

يقول المغرضون: عندما أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج بأخرى على فاطمة بنت نبيكم، غضب نبيكم غضباً شديداً، ولم يأذن له، فحرّم على غيره ما أحله لنفسه، وخالف بذلك القرآن في إباحة التعدد.

ونقول لهؤلاء ،، إن الرسول (ﷺ) لم يغضب غضباً شديداً كما قلتم، ولم يحرم على غيره ما أحله لنفسه، ولم يخالف القرآن، ولكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراد أن يتزوج بنت أبي جهل، فأبى الرسول (ﷺ) أن تجتمع بنت حبيب الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد، فقال: ((إن فاطمة بضعة مني، وأنا أتخوّف أن تُفْتَنَ في دينها، وإنّي لستُ أحرّم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً))⁽⁴⁾

كما أنه لفرط حبه لها، خاف عليها من شدة الحزن، وقال: ((فإنما هي بضعة مني، يربيني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها))⁽⁵⁾ وهذا الأمر ليس خاصاً بالنبي (ﷺ) فمن حق أي ولي أن يشترط على من يتقدم لخطبة ابنته - أو من تحت ولايته - ألا يتزوج عليها، ومن حقها هي أيضاً أن تشترط هذا الشرط، فإن قبّله الخاطب فليس له الرجوع فيه، وإن رجع فيه فلها الحق في طلب الطلاق، لعدم وفائه بشرطه، أما لو لم تشترط هي أو وليها، فله الحق أن يتزوج عليها، وليس لها الحق في هذه الحالة أن تطلب الطلاق، والله أعلم.

34- الرد على شبهة شرب النبي (ﷺ) للنبذ وأمر بشربه.

(2) [صحيح الجامع: 2573]

(3) [صحيح الجامع: 2021]

(4) [سنن النسائي، صحيح الجامع: 2572]

(5) [صحيح الجامع: 2115]

(1) [صحيح البخاري]

،، إن رسولكم قد شرب الخمر، فقد شرب النبيذ، وأمركم بشربه، وما النبيذ إلا خمرًا.

ولهؤلاء نقول ،، إن السائل لم يفهم معنى كلمة نبيذ، وقد قرأ الرواية التي وردت عن رسول الله (ﷺ) وطار بها، ألا وهي: حدثنا روح حدثنا حماد عن حميد عن بكر بن عبد الله أن أعرابياً قال لابن عباس: ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل، وآل فلان يسقون اللبن، وأنتم تسقون النبيذ، أمن بخل بكم أو حاجة؟

فقال ابن عباس: ما بنا بخل ولا حاجة، ولكن رسول الله (ﷺ) جاءنا ورديفه أسامة بن زيد، فاستسقى، فسقناه من هذا - يعنى نبيذ السقاية - فشرب منه، وقال: ((أحسنتم هكذا فاصنعوا)) [مسند الإمام أحمد] إن معنى كلمة (نبيذ) هو ما يُنبذ (أي يُنقع) في الماء أو اللبن أو العسل، سواء كان من التمر، أو الزبيب، أو الشعير... إلخ. ومن الواضح أن النبيذ الذي ورد في الحديث كان شيئاً زهيد السعر، فلو كان خمرًا كما فهم هذا الناقد، لَمَا اتهم الأعرابي عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) بأن قومه بخلاء، إذ كيف يتهمة بالبخل، والخمر أغلى من الماء واللبن والعسل؟

ومن المعروف عن بنى هاشم أنهم كانوا ينقعون التمر في الماء، ويسقونه للحجيج. ثم كيف يشرب الرسول (ﷺ) شيئاً نهى عن شربه، حيث قال: ((كل مُسكر حرام))⁽¹⁾ وقال: ((كل شراب أسكر فهو حرام))⁽²⁾ أما النبيذ (وهو ما يصنعه المسلمون في رمضان) فقد أحله الرسول (ﷺ) بشروط، فقال: ((نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مُسكرًا))⁽³⁾

((لا تجمعوا بين الرطب والبُسْر، وبين الزبيب والتمر نبيذًا))⁽⁴⁾

((من يشرب النبيذ منكم فليشربه زبيباً فرداً، أو تمرّاً فرداً، أو بُسراً فرداً))⁽⁵⁾

وأخيراً ننصحكم أن ترجعوا لكتابكم المقدس، لتقرأوا فيه أن أول آية (بزعمكم) ظهرت على يد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تحويل الماء إلى خمر: فيقول الكتاب المقدس وفي اليوم الثالث كان عُرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودُعِيَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد. قالت أمُّه للخدام مهما قال لكم فافعلوه. وكانت ستة أجزان من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يَسَع كل واحد مطرين أو ثلاثة. قال لهم يسوع امألوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق. ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ. فقدموا. فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحوّل خمرًا ولم يكن يعلم من أين هي. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكأ العريس وقال له. كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدُّون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن. هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فأمن به تلاميذه⁽⁶⁾

(2) [متفق عليه]

(3) [متفق عليه]

(4) [صحيح مسلم]

(5) [صحيح مسلم]

(6) [صحيح الجامع: 6615]

(1) (يوحنا 2: 11-11)

يا للعجب! أول آية كدليل على النبوة (أو الألوهية بزعمكم) تكون في صالح السكارى! فماذا يفعل التلاميذ إذا كان مُعَلِّمهم هو الذى شجعهم على شرب الخمر، وجعلها آية؟

ولم يساعدهم على شربها فقط، بل شربها هو أيضاً (بزعمهم) حيث يقول: جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هُوَذا إنسان أكل وشرب خمر. مُحب للعشارين والأخطاة. (لوقا 7: 34)، والله أعلم.

35- الرد على شبهة خروج النبي (ﷺ) لقطع الطريق على قافلة أبي سفيان.

يقول المغرضون ،،،، إن نبيكم كان قاطع طريق، ألا ترون ما فعله هو وأصحابه من الخروج لقطع الطريق على قافلة أبي سفيان؟

وللرد نقول - إن ما فعله الرسول (ﷺ) وأصحابه رضوان الله عليهم لم يكن قطعاً للطريق - وإن بدا ذلك في ظاهر الأمر - لأن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم، فراراً بدينهم من تعذيب المشركين لهم، ولم يكتفِ المشركون بذلك، بل إنهم استولوا على تلك الأموال والديار وباعوها، حتى بيت النبي (ﷺ) لم ينجُ من سَطْوهم، وقصة صهيب الرومى رضى الله عنه معروفة، حين منعه من الهجرة، إلا أن يترك لهم جميع أمواله، فتركها وهاجر إلى الرسول (ﷺ)

فلما رآه الرسول قال له: ((رَبِّحْ البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى)) فهل إذا سطا عليك أحد، وأخذ منك جميع ما تملك، ثم وجدت فرصة لاسترداد بعض ما أخذه منك، أياكون هذا قطعاً للطريق؟

وإننا لنتعجب ممن يلصقون التُّهَم بأشرف الخلق أجمعين، صلوات ربى وسلامه عليه إلى يوم الدين، ويخفون ما جاء في كتابهم المقدس من قتل الأطفال والشيوخ، وحرق المُدُن، وخطف النساء والاعتداء عليهن، لدرجة اتهام سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بخطف امرأة من زوجها، وها هي الأدلة: كل من وُجِدَ يَظَعَن وكل من انحاش يسقط بالسيف. وتُحَطَّم أطفالهم أمام عيونهم وتُنْهَب بيوتهم وتُفَضَّح نساؤهم(1).

وأوصوا بنى بنيامين قائلين امضوا واكمنوا في الكروم. وانظروا فإذا خرجت بنات شيلوه ليُذَرْنَ في الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوه واذهبوا إلى أرض بنيامين(2).

فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها. لم يُبقِ شارباً بل حَرَّمَ كل نَسَمَة كما أمر الرب إله إسرائيل(3).

ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار. كقول الرب تفعلون. انظروا. قد أوصيتكم(4).

فأرسل أبنيير من فوره رُسلًا إلى داود قائلاً لمن هي الأرض. يقولون اقطع عهدك معي وهُوَذا يدى معك لردّ جميع إسرائيل إليك. فقال حسناً. أنا أقطع معك عهداً إلا إنى أطلبُ منك أمراً

(2) (إشعيا 13: 15-16)

(3) (قضاة 21: 20-21)

(4) (يشوع 10: 40)

(5) (يشوع 8: 8)

واحداً وهو أن لا ترى وجهي ما لم تأتِ أولاً بميكال بنت شاول حين تأتى لترى وجهي. وأرسل داود رُسلًا إلى أيشبوشث بن شاول يقول أعطني امرأتى ميكال التي خطبتها لنفسى بمئة غُلَّة من الفلسطينيين. فأرسل أيشبوشث وأخذها من عند رَجُلِها من فلطيئيل بن لايش. وكان رَجُلُها يسير معها ويكي وراءها إلى بحوريم. فقال له أبنير اذهب. ارْجِعْ. فَرَجَعَ⁽¹⁾ والدليل عل أن كلمة (رَجُلِها) تعنى (زوجها) ما جاء في الكتاب المقدس عن السيدة حواء, حيث قال: فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل⁽²⁾. والله أعلم.

36- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): " أن الأمراض تكفير للذنوب" فمل بال الأطفال

يقول المغرضون: يقول نبيكم إن الأمراض تكفير للذنوب, فما بال الأطفال؟ هل يذنبون حتى يصابوا بالمرض؟ وما ذنب الأطفال الذين يولدون بعيوب خلقية؟

وللرد نقول ،، أولاً: ان كلمة (عيوب خلقى) لا تصح, لأنها اتهام لله سبحانه وتعالى بالعيوب في صناعته.

ثانياً: إن مرض الطفل, أو ولادته مُعَوَّفاً, في ميزان حسناته يوم القيامة, وتكفير لذنوب والديه, قال رسول الله (ﷺ) ((ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه, وولده, وماله, حتى يلقي الله وما عليه خطيئة))⁽³⁾

والله سبحانه وتعالى {لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}⁽⁴⁾ فلن يضيع أجر هذا الطفل, فهو الذى لا يضيع حتى أجر الكافر, ولكنه يعجل أجره في الدنيا من مال, وولد, وصحة, وشهرة... إلى غير ذلك,

قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}[15] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[5]

وقال: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ}[6]

وقال رسوله (ﷺ) ((إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة, يُعْطَى عليها في الدنيا, ويثاب عليها في الآخرة, وأما الكافر فيُطعم بحسناته في الدنيا, حتى إذا أفضى إلى الآخرة, لم تكن له حسنة يُعْطَى بها خيراً))⁽⁷⁾

والأمراض مفيدة للطفل في تقوية جهازه المناعى, وتأهيله لمواجهة مصاعب الحياة من مرض وغيره, وقد يكون مرض الإنسان في صغره, أو إعاقته الخلقية, مما يخفف عنه عقوبة ذنوبه عند كبره, بمعنى أنه إذا كبر وعمل ذنباً تستوجب المؤاخذه عليها, فربما خفف الله عنه بهذه الأمراض والتشوهات التي أصابته في الصغر, لأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبده الخير

(2) (صموئيل الثانى:3: 12-16)

(3) (تكوين:3: 6)

(4) [سنن الترمذى, صحيح الجامع:5815]

(5) [النساء:40]

(6) [هود:15-16]

(7) [الشورى:20]

(8) [صحيح الجامع:1853]

عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا, كما قال رسول الله (ﷺ): ((إذا أراد الله بعبده الخير, عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا, وإذا أراد بعبده الشر, أمسك عنه بذنبه, حتى يُوافي به يوم القيامة))⁽¹⁾ وربما منعت هذه الإعاقة عن بعض المعاصي, وكانت سبباً في تقربه لله سبحانه وتعالى, فكان ذلك خيراً له, وربما عوضه الله مَلَكَاتٍ أُخْرَى خيراً مما فقدها, وربما كانت حافزاً له على العلم والتفوق, وهذا الأمر مُشَاهِدٌ في كثير ممن أصيبوا بأمراض خَلْقِيَّةٍ, فنبغوا في علوم شتى, لأن إصابتهم أقعدتهم عن اللهو واللعب, وجعلتهم يتفرغون للمذاكرة والعلم والبحث, وأزكت فيهم رغبة التحدي والتميز على غيرهم من الأسوياء. وكذلك فإن التشوهات الخلقية, والأمراض التي تصيب الأطفال, تحفِّز العلماء على الأبحاث والفحوصات والتحليل, ودراسة هذه الأمراض, وكيفية الوقاية منها, وطرق علاجها, فتتقدم بذلك العلوم, وتزداد خبرة العلماء, ولو كان الأطفال كلهم يولدون على هيئة واحدة لا تتغير, لقال الملحدون إنها الطبيعية, وكأنه (أكلاشيه) يطبع نُسخاً متشابهة, أو لقالوا إن الله ليست له طلاقة القدرة على التغيير. ولو لم تأتهم الأمراض, لَمَا وُجِدَ طب الأطفال, وجراحة الأطفال, وغير ذلك, وكان عدم إصابتهم بالأمراض أمراً محيراً, إذ كيف يصاب الكبار بالبكتيريا (مثلاً) أو الفيروسات, أو الحوادث, أو غير ذلك, ولا يصاب الصغار؟ أمّا الذين يموتون وهم صغار, فربما لو عاشوا لفسدوا, أو أفسدوا في الأرض, وأصبحوا من أهل النار, فحين يقبضهم الله في الصغر, فهذا رحمة بهم, وبمن حولهم, مثل الولد الذي قتله الخضر, ووردت قصته في سورة (الكهف) وأطفال المسلمين في الجنة, يسرحون فيها حيث شاءوا (والجمهور على أن أطفال الكفار أيضاً في الجنة) قال رسول الله (ﷺ): ((صغاركم دعاميص الجنة, يتلّقى أحدهم أباه فيأخذ بثوبه, فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة))⁽²⁾ (الدعوص) قيل إنه نوع من السمك الصغير كثير الحركة, أو هو الزوّار للملوك, الذي يدخل ويخرج من عندهم كما يشاء, بغير إذن ولا حاجب يحجبه, وقد شبّه بذلك الأطفال لكثرة دخولهم وخروجهم ولعبهم في الجنة.

ومع هذا ايها المغرصون اخبرونا عما في كتبكم فانتم تشفقون على الأطفال من الأمراض, فعندكم في كتابكم المقدس ما هو أشد من ذلك, وهو أكل الآباء والأمهات لأولادهم في الحصار, وليس هذا فحسب بل ما هو اشد فقال: تُجَارَى السامرة لأنها قد تمرّدت على إلهها. بالسيف يسقطون. تُحَطَّمُ أطفالهم والحوامل تُشَقُّ⁽³⁾.

نلاحظ شق بطون الحوامل, كما فعل الصّرب بمسلمي البوسنة.

وقال كتابكم أيضاً: طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة⁽⁴⁾

وكذلك: فتحطّم القسيّ الفتيان ولا يرحمون ثمرة البطن. لا تشفق عيونهم على الأولاد⁽⁵⁾.

حتى الحيوانات لم يرحمها الكتاب المقدس, إذ يقول: وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى. فطلب إليه كل الشياطين قائلين أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها. فأذن لهم

(2) [صحيح الجامع:308]

(3) [صحيح الجامع:3764]

(4) (هوشع 13: 16)

(5) (مزمور 137: 9)

(6) (إشعيا 13: 18)

يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير. فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر. وكان نحو ألفين. فاختنق في البحر⁽¹⁾.

ونحن نتساءل: ما ذنب الخنازير؟ ألم يستطع معبودكم أن يخرج الشياطين من الرجل الممسوس دون أن يدخلها في هذه الخنازير؟ ثم ما ذنب صاحبها؟ أليس هذا إضراراً بثروته؟ وما تأثير ذلك على الاقتصاد العام؟ وماذا تقول جمعية الرفق بالحيوان عن هذا التصرف؟، والله أعلم.

37- الرد على شبهة حنث النبي (ﷺ) في اليمين.

إن ربكم قد أخرج نبيكم من جنثه في اليمين كما تخرج الشعرة من العجين، وذلك حين قال له: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمُ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}⁽²⁾

وللرد نقول ،، إن هذا تيسير على الأمة كلها، ورفع الحرج عنها، وليس خاصاً بالرسول (ﷺ) وحده، فهل قالت الآية (قد فرض الله لك تحلة أيمانك) أم قالت: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمُ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ؟} وَتَحْلَةُ الْإِيمَانِ قَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْعُثُوفِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}⁽³⁾

ففي هذه الآية الكريمة رفع للحرج عن المؤمنين من جهة، والتوسعة عليهم من جهة أخرى، أما رفع الحرج فقد وضحه الرسول (ﷺ) في قوله: ((من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه))⁽⁴⁾ وأما التوسعة على المؤمنين، ففي طريقة التكفير عن اليمين، فهي إما بإطعام المساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، وهذا فيه النفع لفقراء الأمة ورفقيها، ومن لم يستطع الإطعام أو الكسوة أو العتق، فليصم ثلاثة أيام، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه، وهذا الأمر ليس قاصراً على كفارة اليمين، بل إن معظم الكفارات قائمة على نفع المخلوقين بالصدقة والعتق والإطعام والكسوة، أكثر من القيام بالعبادة المحضة، التي لا يعود نفعها إلا على فاعلها، كالصلاة والصيام. وآية كفارة اليمين نزلت قبل أن يحرم الرسول (ﷺ) على نفسه العسل، فلم تنزل له خاصة، بل هي للمؤمنين عامة.

ومع هذا نرجوا من حضراتكم تبريراً لما جاء في كتابكم

فقد جاء في الكتاب المقدس – ليس فقط سهولة كفارة اليمين – بل سهولة كفارة القتل، إذ يقول: إذا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لَتَمْتَلِكَهَا وَاقْعاً فِي الْحَقْلِ لَا يُعْلَمُ مِنْ قَتْلِهِ يَخْرُجُ شَيْوُخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنَ الْقَتِيلِ يَأْخُذُ شَيْوُخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ لَمْ يُحَرِّثْ عَلَيْهَا لَمْ تَجْرَ بِالْيَبْرِ وَيَنْحَدِرُ شَيْوُخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِالْعِجْلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ لَمْ يُحَرِّثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ وَيَكْسِرُونَ عُثْقَ الْعِجْلَةِ فِي الْوَادِي... وَيَغْسِلُ جَمِيعَ شَيْوُخِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعِجْلَةِ الْمَكْسُورَةِ الْعُثْقِ فِي الْوَادِي وَيُصْرِحُونَ وَيَقُولُونَ أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمُ وَأَعَيْنَا لَمْ تُبْصِرْ. اغْفِرْ لَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي فَدَيْتَ يَا رَبُّ وَلَا

(2) (مرقس 5: 11-13)

(3) [التحریم: 2]

(4) [المائدة: 89]

(5) [صحيح مسلم]

تجعل دم برى في وسط شعبك إسرائيل. فيُغفر لهم الدم. فتنزغ الدم البرى من وسطك إذا عملت الصالح في عيني الرب(1)

ونحن نتساءل: ما ذنب العجلة أن يكسر عُقْها؟ ألا كان يكفي أن يُقسِموا أنهم لم يقتلوه؟، والله أعلم.

38- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): "أشد الناس عذاباً يوم القيامة: المصورون...."

يقول نبيكم: ((أشد الناس عذاباً يوم القيامة: المصورون, يقال لهم: أحيوا ما خلقتكم)) (2) فلو كان محمد رسلاً من عند الله, لَمَا حرَّم عملاً رائعاً تقوم عليه حضارة الدنيا الآن, وهو ضرورة حتمية من ضرورات الحياة الحديثة, مثل تحقيق الشخصية, وتعليم الطب والجراحة, وعالم الحيوان والبحار... إلخ, ونحن نرى شيوخ الإسلام في الفضائيات, فهل تعتبرونهم عُصاة؟

وللرد نقول. إن هذا فهم خاطئ لكلمة (صورة) فكلمة (صورة) تعنى تمثالاً أو صنماً, أي ما له ظل, وبناءً على ذلك, فالمقصودون في الحديث الشريف هم صناعات التماثيل, أو النحاتون, لأنهم يحاولون تقليد صنع الله, وهي مدعاة لتعظيمها وعبادتها من دون الله, ولذلك يقال لهم يوم القيامة: ((أحيوا ما خلقتكم)) إذن فالحديث لا يمنع تطور العلم, لأنه لا يمنع هذه الصور التي قصدها السائل, فالذي سأل عنه هو التصوير الفوتوغرافي, الذي لم يكن موجوداً على عهد رسول الله صلى الله عليه والسلام, وهو ليس بتصوير حقيقي, ولكنه نقل للصورة عن طريق آلة التصوير, ولا يحتاج لأي مهارة, فلو وقع طائر – مثلاً – على زر النقاط الصورة لصورها, ولو ضغط على الزر طفل لصورها, إذن فهو ليس محاولة لتقليد خلق الله, ولم يحرمه فقهاء المسلمين, طالما أن له نفعاً وضرورة, أما إذا استُخدم في تصوير محرّم, فيكون محرماً وحتى التماثيل, لو أن هناك ضرورة لصنعها, فقد أباحها العلماء, بشرط ألا تكون على هيئة يحيا عليها الإنسان أو الحيوان, أي أنها لا تكون كاملة, فيقطعون رءوسها – مثلاً – أو يصنعون يداً أو قدماً, كعلاج لبتز الأطراف, أو غير ذلك مما تدعو إليه الحاجة. وكذلك فإن لعب الأطفال مباحة, لأنها تهان, ولكنها لا تُكْرَم بوضعها على مكان عالٍ, أو بأي طريقة, وبشرط ألا يُبالغ في مضاهاتها لصنع الله جل وعلا.

إن من أسماء الله تعالى (المصور) فهل يصوّر صُوراً كهذه الصور الفوتوغرافية؟ أم أنه يخلق خلقاً متكاملًا؟

ومما يدل على هذا المعنى, قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (3) وقوله: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} (4) فهل صوّرنا في أرحام أمهاتنا صوراً فوتوغرافية؟ أم أنه صورنا بمعنى أنه خلقنا فأحسن صورنا؟

(2) (تشية 21: 9-1)

(3) [مسند أحمد, صحيح الجامع: 999]

(4) [آل عمران: 6]

(5) [التغابن: 3]

وليس غريباً على من يصنعون التماثيل للفئران والبواسير أن ينكروا علينا تحريم التماثيل، فقد جاء في كتابهم المقدس: واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التي تفسد الأرض واعطوا إله اسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم(1)

وحاء ايضاً ،،، ووضعوا تابوت الرب على العجلة مع الصندوق وفيران الذهب وتماثيل بواسيرهم(2)

وكذلك ،،، وهذه هي بواسير الذهب التي ردها الفلسطينيون قربان إثم للرب(3).

وايضا ،،، فقالوا وما هو قربان الإثم الذي نردّه له. فقالوا حسب عدد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب. لأن الضربة واحدة عليكم جميعاً وعلى أقطابكم(4)

وحتى لا يظن أحد - من دهشته - أن البواسير ربما كان لها معنى آخر عندهم، فليرجع إلى الإصحاح الذي قبله.

والعجيب انهم مع هذا فقد حرم كتابهم المقدس التماثيل في موضع آخر، فقال: ملعون الإنسان الذي يصنع تماثلاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب عَمَلٌ يَذِي نَحَاتٍ ويضعه في الخفاء. ويجب جميع الشعب ويقولون آمين(5). والله أعلم.

39- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): "ذاك رجل بال الشيطان في أذنه" في حق الرجل الذي نام الليل ولم يصل الفريضة.

يقول المغرضون ،،، روى البخارى في صحيحه أنه ذُكِرَ عند نبيكم رجل نام ليله حتى أصبح (أي لم يُصَلِّ الفريضة) فقال: ((ذاك رجل بال الشيطان في أذنه)) فهل الشيطان يبول؟

ووردا على هؤلاء نقول ،،، إذا كان الشيطان يأكل ويشرب، فما الغرابة في أن يبول؟ وإذا كان لا يُرى ولا يُشعر به، فهل يُرى بوله أو يُشعر به؟

لقد وجّه العلماء الأفاضل معنى بول الشيطان في أذن من نام حتى فاتته الفريضة عدة توجيهات،

منها: الأول: أن يُقال بأن هذا مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم، كمن وقع البول في أذنه، فتقل أذنه وأفسد جسّه، والعرب تُكَيِّ عن الفساد بالبول.

وقال الطيبي: حُصَّ الأذن بالذكر، وإن كانت العين أنسب بالنوم، إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامح هي موارد الانتباه.

الثاني: أن يقال بأن الأمر هو على حقيقته. قال القرطبي وغيره: لا مانع من ذلك، إذ لا إحالة فيه، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع من أن يبول.

(2) (صموئيل الأول: 6: 5)

(3) (صموئيل الأول: 6: 11)

(4) (صموئيل الأول: 6: 17)

(5) (صموئيل الأول: 6: 4)

(1) (تشية 27: 15)

الثالث: أن يقال بأن ذلك هو كناية عن سدّ الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة, حتى لا يسمع الذكر

الرابع: أن يقال بأن معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل, فحجب سمعه عن الذكر.

الخامس: هو أن الأمر كناية عن ازدراء الشيطان به. السادس: هو أن يقال بأن المعنى أن الشيطان استولى عليه, واستخف به, حتى اتخذ كالكنيف المُعد للبول, إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.

وقد جاء في كتابكم المقدس أن معبودكم رأي الشيطان على هيئة البرق, فلماذا لم تنكروا عليه ذلك؟ فقال لهم رأيْتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء⁽¹⁾. والله أعلم.

40- الرد على شبهة أن النبي (ﷺ) حضن زيد بن حارثة - ضي الله عنه - وزيد عريان.

يقول الافاكون ،،- إن نبيكم قابل زيد بن حارثة وحضنه وهو عريان.

وردا عليهم نقول ،، إليكم الرواية الضعيفة التي يحتجون بها: حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد المدنى حدثنى أبى يحيى بن محمد عن محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قَدِمَ زيد بن حارثة المدينة, ورسول الله (ﷺ) في بيتي, فأتاه فقرع الباب, فقام إليه رسول الله (ﷺ) عرياناً فجر ثوبه, والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده, فاعتنقه وقبله.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب, لا نعرفه من حديث الزهرى إلا من هذا الوجه.

هذا الحديث أخرجه الترمذى, ولم تثبت صحته, ففي سنده أبو يحيى بن محمد, قال عنه الذهبي ضعيف, وقال عنه الساجي: في حديثه مناكير وأغاليط. وفي الحديث علة أخرى: إبراهيم بن يحيى بن محمد لئن الحديث, وقال عنه الرازى ضعيف, وقد أورد العلامة الألبانى هذا الحديث ضمن سلسلة الأحاديث الضعيفة⁽²⁾

وهكذا يتبين مدى ضعف هذه الرواية, ومدى سقوط الاحتجاج بها. ثم إن الرسول (ﷺ) قد عصمه الله من أن يُرى عرياناً قبل النبوة, فكيف بعدها؟

والقصة معروفة من كتب السيرة, حين كان ينقل حجارة الكعبة مع فتیان قريش, فأمره عمه أن يخلع إزاره, ويضعه على كتفه, ليضع عليه الحجارة, وبمجرد أن همَّ الرسول (ﷺ) بخلع إزاره, وقع على الأرض, ولم يره أحد.

والآن ننقل لكم ما جاء به الكتاب المقدس من نسبة التعرّى للمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ولأكبر تلاميذه (بطرس) بل والله سبحانه وتعالى:

اولا ،،، قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وأتزر بها. ثم صب ماء في مغسل وأبتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان مُتزرّاً بها⁽³⁾.

(2) (لوقا 10: 18)

(3) [ضعيف الترمذى: 516]

(4) (يوحنا 13: 4-5)

ثانياً ،، فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة. فعزّوه وألبسوه رداءً قرمزيًا⁽¹⁾.

ثالثاً ،، بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا. كان سمعان بطرس وتوما الذى يقال له التوأم ونثنائيل الذى من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم. قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد. قالوا له نذهب نحن أيضاً معك. فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً. ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع. فقال لهم يسوع يا غلمان أعمل عندكم إداماً. أجابوه لا. فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا. يقدر أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب ائزر بثوبه لأنه كان غريئاً وألقى نفسه في البحر⁽²⁾.

ونحن نسأل: هل كان التعرى أمام المسيح حراماً، وأمام غيره حلالاً؟

رابعا ،، أمشى حافياً وعريئاً⁽³⁾. أتدرون لمن ينسبون هذا الكلام؟ إنهم ينسبون الله سبحانه وتعالى، ومن لم يصدق فليقرأ الكلام الذى قبله والذى بعده من الإصحاح نفسه، والله المستعان

41- الرد على شبهة ارضاع الكبير.

،،،، إن نبيكم أمر سهلة بنت سهيل امرأة حذيفة أن ترضع سالم ابن حذيفة من التبنى، وهو رجل كبير، هل هذا يتفق مع ما تدّعون من العفة؟

ورداً على هؤلاء نقول ،،، لقد اتفق الصحابة رضوان الله عليهم وأئمة المذاهب الفقهية وأتباعهم، على أن الرضاع المُحرّم هو الذى يناله الرضيع وهو دون السنّتين من عمره، لصريح قول الله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}(4)

ولقول رسوله (ﷺ) ((إنما الرضاعة من المجاعة))⁽⁵⁾

أي أن الرضاعة التي تُحرّم هي ما كانت في فترة الصّغر، حتى يكون اللبن سبباً في بناء لحم الطفل، فتكون المُرّضعة قد أنبتت من لبنها لحم الطفل، كما أن الأم أنبتت من رحمها لحمه، فتكون المُرّضعة كالأم في هذه الحالة. وفي الترمذى وصححه عن أم سلمة مرفوعاً: ((لا يحرم من الرضاع إلا ما فتح الأمعاء، وكان قبل الفطام)) وللدارقطنى عن ابن عباس يرفعه: ((لا رضاع إلا في الحولين)) وعند أبى داود عن ابن مسعود يرفعه: ((لا رضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم)) فكل هذه الأحاديث تدل على أن الرضاعة المُحرّمة هي ما كانت دون السنّتين قبل الفطام، وما بعد ذلك فلا أثر لها.

وأما ما جاء في حديث سهلة بنت سهيل امرأة أبى حذيفة، من قصة سالم مولى أبى حذيفة، من أن أبا حذيفة كان قد تبنى سالمًا، فلما صارت امرأة أبى حذيفة يشق عليها دخول هذا الغلام الذى

(2) (متى 27: 27-28)

(3) (يوحنا 1: 7-1)

(4) (مicha: 8)

(5) [البقرة: 233]

(1) [صحيح مسلم]

كبر، لما رأت من تغيّر في وجه زوجها أبى حذيفة، استفتت النبي (ﷺ) في ذلك، فقال لها: ((أرضعيه تحرّمي عليه)) وكيف أن أمّ المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قد رأت أن هذا الأمر عامّاً (كما في سنن أبى داود) فكانت تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبّت أن يراها، أو يدخل عليها، وإن كان كبيراً خمس رضعات.

فالجواب على ذلك أن جمهور العلماء ذهب إلى أن قصة سالم رضى الله عنه هي واقعة خاصة بسالم لا تتعداه إلى غيره، ولا تصلح للاحتجاج بها.

قال الحافظ ابن عبد البر: (عدم تحديث أبى مليكة بهذا الحديث لمدة سنة، يدل على أنه حديث ترك قديماً ولم يُعمل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومته، بل تلقّوه على أنه مخصوص)⁽¹⁾

وقال الحافظ الدارمى عقب ذكره الحديث في سننه: (هذا لسالم خاصة) وبذلك صرّحت بعض الروايات، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة - رضى الله عنها - أنها قالت: (أتى سائر أزواج النبي (ﷺ) أن يُدخلن عليهن أحداً بهذه الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله (ﷺ) لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا) وبالتالي يكون عمل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - إن صح الخبر - اجتهداً منها ليس إلا، وكان فهم وعمل الصحابة وسائر أزواج النبي (ﷺ) على خلافه.

وقد قيل: إن ما روى عن عائشة (رضى الله عنها) محمول على أنها إذا تفرّست بطفل خيراً، وأرادت أن يدخل عليها بعد بلوغه، تأمر بنات أخيها أن يرضعنه وهو صغير، فإذا كبر دخل عليها. فالظاهر أن تخصيص الرخصة بسالم رضى الله عنه من دون الناس هو الراجح، من حيث اختيار معظم أمهات المؤمنين له، وذهاب معظم الصحابة رضوان الله عليهم وجمهور العلماء إلى القول به، وهو المفهوم من ظاهر النصوص المعارضة لحديث سهلة بنت سهيل، ولو كان الأمر على إطلاقه، لشاع بين الصحابة الكرام ومن بعدهم من السلف، ولتعددت طرقه، ورُويت أخباره.

ولقد فهم أعداء الإسلام من قوله (ﷺ) لسهلة: ((أرضعيه)) أنه يتحتم ملامسة الثدي، فتعجبوا لهذا. ومن أحسن ما قيل في توجيه ذلك، قول الإمام النووى - رحمه الله - في شرحه على صحيح مسلم (10 / 31) (قال القاضى: لعلها حَلَبَتْهُ ثم شَرَبَتْهُ، دون أن يَمَسَّ ثَدْيَهَا، ولا النَّقَتَ بَشَرَتَاهُمَا، إذ لا يجوز رؤية الثدي ولا مَسَّهُ ببعض الأعضاء) وقال أبو عمر: (صفة رضاع الكبير أن يُحَلَبَ له اللبن ويُسْقَاهُ، فأما أن تلقمه المرأة ثديها فلا ينبغي عند أحد من العلماء، وهذا ما رجحه القاضى والنووى)⁽²⁾

وقد روى ابن سعد في طبقاته عن محمد بن عبد الله ابن أخى الزهرى عن أبيه قال: كانت سهلة تحلب في مسعط أو إناء قَدْرَ رضعته، فيشربه سالم في كل يوم، حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهي حاسرة، رخصة من رسول الله (ﷺ) لسهلة⁽³⁾.

(2) (شرح الزرقانى على الموطأ 292/3)

(3) (شرح الزرقانى 316/3)

(1) (الطبقات الكبرى 271/8 الإصابة لابن حجر 716/7)

ثم إن النص لم يصرح بأن الإرضاع كان بلامسة الثدي، فنحن نشرب لبن البقر والجاموس، فهل ننزل تحتها لنشربه؟

وسياق الحديث متعلق بالخرج من الدخول على بيت أبي حذيفة، فكيف يغار أبو حذيفة من دخول سالم على امرأته، ثم يرضى بالرضاع المباشر؟

لقد حرم النبي (ﷺ) مجرد المصافحة، حيث قال: ((لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له))⁽¹⁾

وقال: ((إني لا أصفح النساء))⁽²⁾ فكيف يجيز لمس الثدي، بينما يحرم لمس اليد؟

ثم نسأل هؤلاء: هل الطفل الذي يشرب الحليب من غير ارتضاعه من الثدي مباشرة، يثبت له حكم الرضاعة أم لا؟ والجواب عند جمهور العلماء أنه يثبت، وبالتالي نقول إنه إذا كان شرب اللبن بدون مباشرة الثدي يثبت حكم الرضاع للصغير.. فمن باب أولى أن يثبت للكبير، ذلك لأن شرب اللبن بدون مباشرة الثدي يصح أن يكون رضاعاً.

قال العالم النحوي ابن قتيبة الدينوري في توجيهه لحديث سهلة: أراد رسول الله (ﷺ) بمحلها عنده، وما أحبب من ائتلافهما، ونفي الوحشة عنهما، أن يزيل عن أبي حذيفة هذه الكراهة، ويطيب نفسه بدخوله، فقال لها: ((أرضعيه)) ولم يرد: ضعي ثديك في فيه، كما يفعل بالأطفال، ولكن أراد: احلبى له من لبنك شيئاً، ثم ادفعيه إليه ليشربه. ليس يجوز غير هذا، لأنه لا يحل لسالم أن ينظر إلى ثديها إلى أن يقع الرضاع، فكيف يبيع له ما لا يحل له، وما لا يؤمن معه من الشهوة؟⁽³⁾

42- الرد على شبهة تبرئة القرآن للنبي (ﷺ) من سرقة الشملة التي غلبها من المغنم يوم بدر.

إن القرآن يُبرئ محمداً من سرقة الشملة التي غلبها من المغنم يوم بدر، حتى لا يفتضح أمره.

وللرد على هؤلاء ،،،، نقول ،،،، لقد جاء في تفسير قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَ وَمَنْ يَعْلَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (4) أن المنافقين اتهموا رسول الله (ﷺ) في قطيفة حمراء، قالوا إنه غلبها من غنائم بدر، فنزلت هذه الآية لتبرئته (ﷺ) من هذه الفعلة الشنيعة، ولم تبرئه (ﷺ) وحده، ولكنها برأت جميع أنبياء الله ورسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكيف يغفل رسول الله (ﷺ) وهو الذي نهى عن الغلول في أكثر من حديث، وحذر منه أشد التحذير، فقال (ﷺ): ((ليس لي من هذا الفيء شيء، ولا هذه الوبرة، إلا الخمس، والخمس مردود فيكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً، وناراً، وشناراً، يوم القيامة)) (5) [ونهي عن هدايا العمال فقال: ((أما بعد.. فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أهدي إليّ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه، فينظر هل يهدي له أم لا؟

(2) [صحيح الجامع: 5045]

(3) [صحيح الجامع: 5213]

(4) (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 308-309)

(5) [آل عمران: 161]

(6) [صحيح الجامع: 7883]

فو الذى نفس محمد بيده لا يَغُلُّ أحدكم منها شيئاً، إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بغيراً جاء به له رُغاء، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار، وإن كانت شاة جاء بها تئير، فقد بُلِّغَتْ))⁽¹⁾ وقال: ((هدايا العمال غُلُول))⁽²⁾ سبحان الله فهؤلاء لا يعانون من عمى البصر ولكنهم يعانون من عمى البصيرة فكما قال المسيح عليه السلام في كتبهم ،،، ترى القذى في عين أخيك ولا ترى الخشبة التي في عينك، فهؤلاء يملأون الدنيا ضجيجا في كذبه يكذبون بها على رسول الله (ﷺ) ،،، في شمله ،،، لا تساوى شيئا

فما ردهم فيمن سرق النبوة وخدع أباه وهل تسرق التوبة ؟ انهم فعلوها والى حضراتكم القصة كما جاءت في كتبهم في الوقت الذى نجد فيه القرآن الكريم يعظم الأنبياء ويجلِّهم، نجد الكتاب المقدس يقذفهم بقبائح الأفعال والخصال، فقد جاء فيه أن سيدنا يعقوب – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – كذب على أبيه، وسرق النبوة من أخيه، فقال: وحدث لما شاخ إسحق وكَلَّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابني. فقال له هأنذا. فقال إننى قد شِخْتُ ولست أعرف يوم وفاتى. فالآن خُذْ عدتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لى صيداً. واصنع لى أطعمة كما أحب وأنتى بها لأكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت وكانت رفقة سامعةً إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتى به. وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً. انتنى بصيد واصنع لى أطعمة لأكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى. فالآن يا ابني اسمع لقولى في ما أنا أمرك به. اذهب إلى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعزى. فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب. فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أمه هُوذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربما يجسنى أبى فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة. فقالت له أمه لعنتك على يا ابني. اسمع لقولى فقط واذهب خذ لى. فذهب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملأسة عنقه جلود جدي المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال يا أبى. فقال هأنذا. من أنت يا ابني. فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتنى. قم اجلس وكُلْ من صيدى لكى تباركنى نفسك. فقال إسحق لابنه ما هذا الذى أسرعت لتجد يا ابني. فقال إن الرب إلهك قد يسر لى. فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابني. أنت هو ابني عيسو أم لا. فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه. فباركه. وقال هل أنت هو ابني عيسو. فقال أنا هو. فقال قدّم لى لأكل من صيد ابني حتى تباركك نفسى. فقدم له فأكل. وأحضر له خمراً فشرب. فقال له إسحق أبوه تقدم وقبّلنى يا ابني. فتقدم وقبّله. فشَمَّ رائحة ثيابه وباركه... لئیسْتَعْبَدَ لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيداً لأخوتك. وليسجد لك بنو أمك. ليكن لآعَنوك ملعونين. ومباركوك مباركين... فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً. وقال لأبيه باركنى أنا أيضاً يا أبى. فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك... فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه. وقال عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبى. فأقتل يعقوب أخى. فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هُوذا عيسو أخوك مُتَسَلِّ من جهتك بأنه يقتلك. فالآن يا ابني اسمع لقولى وقم اهرب إلى أخى

(2) [صحيح الجامع:1357]

(3) [صحيح الجامع:7021]

لابان إلى حاران. وأقيم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك. (1) يزعمون في هذا النص أن سيدنا إسحاق – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – شرب الخمر، وأن النبوة يهبها الإنسان لمن يشاء، إذ أن سيدنا إسحاق كان يريد أن يهبها لابنه البكر عيسو، ولكن سيدنا يعقوب احتال عليه، فوهبها له بدلاً من أخيه

إن هذا من رحمة الرسول (ﷺ) بسهولة وابنها من التبنّي، لأنه كانت هناك بينهما ألفة، كالألفة التي بين الأم وابنها، لأنها هي التي ربته منذ صغره، فأصبحت مثل أمه، ويصعب عليها وعليه أن يفترقا، وخاصة بعد أن كبرت سنّها، وأصبحت وزوجها محتاجين لهذا الغلام عوناً لهما، ولا يُظنُّ أبداً أن ينظر إليها أو تنظر إليه نظرة شهوة، ولذلك فهي حالة خاصة تحتاج لحكم خاص، وكأنه تدريج في التشريع، كما حدث في تحريم الخمر، ومعلوم أن تعلق المرأة بابنها، والابن بأمه، أشد من تعلق الإنسان بشرب الخمر.

والذين يتعجبون من أمر الرسول (ﷺ) للسيدة سهلة بأن ترضع ابنها من التبنّي قبل تحريمه، نريد منهم رداً على ما جاء في الكتاب المقدس – حيث يقول الرب: وافرّح بامرأة شبّابك الطيبة المحبوبة والوعلة الزهية. لِئُرْوِكَ ثدياها في كل وقت وبمحبتها اسكر دائماً (2).

وايضا،، حين يقول،،لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان. فماذا نصنع لأختنا في يوم تُخطَب (3) والاغرب هو قوله،،، لذلك هكذا قال الرب امرأتك تزنى في المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف (4)

وايضا،،، وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن يُصلِغُ السيد هامة بنات صهيون ويُعْرِى الرب عورتهن (5)

وكذلك قال،،، ثم ذهب شمشون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها (6).

مع العلم بأن شمشون نبي، بنص كتابهم الذي يقول: فنزل شمشون وأبوه وأمه إلى تمنة وأتوا إلى كروم تمنة. وإذا بشبل أسد يزمر للقاءه. فحلَّ عليه روح الرب (7)

وأخيراً نقول لمن يطنطن حول هذه الشبهة ويتغنى بها: إن ما لا يقبله عقل، ولا يُقرُّه شرع، أن ينزل الله سبحانه وتعالى، ويرضع من ثدى امرأة، كما تزعمون في كتابكم المقدس: وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما (8)

(2) (تكوين 27: 1-44)

(3) (أمثال 5: 18-19)

(4) (نشيد الأنشاد 8: 8)

(5) (عاموس 7: 17)

(6) (إشعياء 3: 16-17)

(7) (قضاة 16: 1)

(8) (قضاة 14: 5-6)

(9) (لوقا 11: 27)

43- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): "يقطع الصلاة الحمار، والمرأة، والكلب"

يقول نبيكم: ((يقطع الصلاة الحمار، والمرأة، والكلب))⁽¹⁾ لقد ساوى نبيكم بين المرأة والكلب والحمار.

وللرد على هؤلاء ،، نقول لقد ذُكرَ ما يقطع الصلاة أمام السيدة عائشة – رضى الله عنها – فقالت: (لقد جعلتمونا كلاباً، لقد رأيت النبي (ﷺ) يصلى وإنى لبينه وبين القبلة، وأنا مضطجعة على السرير، فتكون لى الحاجة، فأكره أن أستقبله، فأُتسلَّ انسلاً⁽²⁾)

وفي رواية أخرى للبخارى أيضاً أنها قالت: (أعدَلتمونا بالكلب والحمار؟ لقد رأيتني مضطجعة على السرير، فيجىء النبي (ﷺ) فيتوسَّط السرير فيصلى، فأكره أن أُسَّحَّه، فأُتسلَّ من قِبَل رجلَى السرير، حتى أُتسلَّ من لحافي) قولها (أُسَّحَّه) أي أظهر له من أمامه.

قال الخطابي: هو من قولك سَنَحَ لى الشيء إذا عرض لى، وقولها (أُتسلَّ) أي أخرج بخفة أو برفق. قال (ابن رشيد) قصد البخارى أن شغل المصلى بالمرأة إذا كانت في قبلته على أي حالة كانت أشد من شغله بالرجل، ومع ذلك فلم تضر صلاته (ﷺ) لأنه غير مشغول بها، فكذلك لا تضر صلاة من لم يشغل بها، والرجل من باب الأولى.

أما قطع الحمار للصلاة.. فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: (أقبلتُ راكباً على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله (ﷺ) يصلى بالناس بمنى إلى غير جدار، فمررتُ بين يدي بعض الصف، وأرسلتُ الأتان ترتع، فدخلتُ في الصف، فلم ينكر ذلك على أحد)⁽³⁾ قوله: (ناهزت الاحتلام) أي قاربته، وقوله: (يصلى بالناس بمنى) أي في حجة الوداع، وقوله: (فلم ينكر ذلك على أحد)

قال ابن دقيق العيد: (استدل ابن عباس بترك الإنكار على الجواز، ولم يستدل بترك إعادتهم للصلاة، لأن ترك الإنكار أكثر فائدة) أي أن ترك الإعادة يدل على صحتها فقط، لا على جواز المرور، وترك الإنكار يدل على جواز المرور وصحة الصلاة معاً. ويُستفاد منه أن ترك الإنكار دليل على جواز المرور، ولا يُقال ربما لم يعلم النبي (ﷺ) بمروره، لأن النبي (ﷺ) كان يرى في الصلاة من ورائه كما يرى من أمامه.

وفي رواية أخرى أنه مر بين يدي بعض الصف الأول، وعلى ذلك فليس هناك احتمال لعدم رؤية النبي (ﷺ) له. وقد استدلل العلماء بهذا الحديث على أن مرور الحمار بين يدي المصلى لا يقطع الصلاة. وقد قال العلماء (ومنهم الطحاوى وغيره): إن هذا الحديث، وحديث السيدة عائشة – رضى الله عنها – ينسخان الحديث الذى ذُكرَ في السؤال. ومال الشافعى وغيره إلى تأويل القطع في الحديث، بأن المراد به نقص الخشوع، لا الخروج من الصلاة، ويؤيد ذلك أن الصحابى راوى الحديث سأل عن الحكمة في التقييد بالكلب الأسود، فأجيب بأنه شيطان، أي في قوله (ﷺ): ((إذا قام أحدكم يصلى، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرِّحْلِ، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرِّحْلِ، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود)) قيل: ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر؟ قال: ((الكلب الأسود شيطان))⁽⁴⁾ وقد علِمَ أن الشيطان لو مر

(2) [سنن الترمذى، صحيح الجامع: 8128]

(3) [صحيح البخارى]

(4) [صحيح البخارى]

(5) [صحيح الجامع: 719]

بين يدي المصلى لم تفسد صلاته، كما في قوله (ﷺ) : ((إذا نودى بالصلاة، أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثُوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى))⁽¹⁾

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (يقطع الصلاة الكلب الأسود، وفي النفس من الحمار والمرأة شيء) ووجهه ابن دقيق العيد وغيره بأنه لم يجد في الكلب الأسود ما يعارضه، ووجد في الحمار حديث ابن عباس، يعنى الذى تقدم في مروره وهو راكب بمنى، ووجد في المرأة حديث عائشة رضى الله عنها، والله أعلم.

44- الرد على شبهة قول النبي (ﷺ): "لعلك قبّلت، أو غمّزت، أو نظرت" في حديث ماعز فهل يصح أن ينطق نبي بهذه الكلمات؟

عندما أتى ماعز لنبيكم يعترف له بالزنى حتى يقيم عليه الحد، سأله نبيكم وقال له: ((لعلك قبّلت، أو غمّزت، أو نظرت)) فقال له: لا، فسأله نبيكم وقال له كلمة شنيعة، . فهل يصح أن ينطق بهذه الكلمة نبي؟ وحتى لا تكذبوننا.. فالحديث في (صحيح البخارى) الذى تعتبرونه أصح كتب الحديث.

وللرد على هؤلاء نقول اولاً ،، لقد نسبتم الزنى لأنبيائكم (وحاشاهم) وقد ذكرنا الأدلة على ذلك في أكثر من موضع، ولم تستطيعوا أن تنسبوه لنبينا (ﷺ) رغم عداوتكم له، وعدم الإيمان به، ولم ينسبه له أحد من قبلكم على مر العصور والأيام، رغم العداوة المطلقة له (ﷺ) من المشركين والملحدين والمستشرقين وغيرهم، أ تكون هذه الكلمة أشد عندكم من الزنى؟ إن الرسول (ﷺ) كان أشد الناس حياءً، حتى وصفه أصحابه رضوان الله عليهم بأنه ((كان أشد حياءً من العذراء في خدرها))⁽²⁾ وكان كثيراً ما يُكْتَى ويستخدم ألفاظاً غير صريحة للتعبير عما يريد، وذلك مثل قوله: ((إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل))⁽³⁾ وقوله في الحديث الذى ذكرناه في حد الزنى: ((إذا رأي أحدكم المرأة التي تعجبه، فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم، فإن ذلك معهم))⁽⁴⁾ وحين سألته امرأة عن التطهر من حيضها، أمرها بالغسل، ثم قال لها: ((خذى فرصة من المسك فتطهرى بها)) قالت: كيف أتطهر؟ قال: ((تطهرى بها)) قالت كيف؟ قال: ((سبحان الله! تطهرى)) فاجتذبتها السيدة عائشة - رضى الله عنها - وقالت لها: (تتبعى بها أثر الدم) [صحيح البخارى] وفي رواية أخرى في [صحيح مسلم] أنه قال لها: ((تطهرى بها، سبحان الله!)) واستتر. أي غطى وجهه، فعرفت السيدة عائشة ما يريد... إلى آخر الحديث.

ولا يظن أحد أنه علّمها كيفية الغسل بالآفاظ صريحة، فقد وضحت الرواية التالية، التي وردت في [سنن ابن ماجه] كيفية شرحه لهذا الغسل: ((تأخذ إحداكن ماءها وسدّرها فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها، فتدلكه دلكاً شديداً، حتى يبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة مُمسّكة فتطهر بها)) [صحيح الجامع: 2903] ((فرصة)) هي قطعة من القطن، ((مُمسّكة)) أي بها مسك، (فاجتذبتها) أي شدّتها إليها.

(2) [صحيح الجامع: 817]

(3) [صحيح الجامع: 4799]

(4) [صحيح الجامع: 385]

(1) [صحيح ابن حبان، صحيح الجامع: 552]

إن الرسول (ﷺ) لم ينطق بالكلمة التي وردت في السؤال إلا مرة واحدة في حياته، وقد قالها حتى يتأكد من أن ماعز رضى الله عنه زنى، لأنه سيقام عليه حد الزنى وربما كان يجهل شروط إقامة حد الزنى، ويظن أنه يُقام على من قُبِل، أو غير ذلك من الأفعال التي لا تعنى الجماع، فأراد النبي (ﷺ) ألا يقيم عليه الحد - إبقاءً على حياته - حتى يستوثق تماماً من فعلته، ولم يكن هناك بديل لهذه الكلمة، التي تعنى إتمام الجماع، كما يحدث بين الرجل وزوجته. ومعلوم أن بعض الألفاظ تكون مُستقبحة في بعض المجتمعات دون غيرها، فربما كانت هذه الكلمة غير مُستقبحة في عهده (ﷺ)، فمثلاً كلمة (نسوان) مستقبحة عندنا في مصر، رغم أنها كلمة عربية مثل (نساء) وفي بعض البلدان العربية يقولون عن المرأة (مَرّة) ولا يجدون فيها أي عيب، في حين أنها مستقبحة جداً في مصر، ويعتبرونها شتيمة للمرأة، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك، لأنها اختصار أو تحوير لكلمة (امراة) وكذلك فإن كلمة (لباس) قد استُخدمت في مصر في غير معناها، ولو نطق بها أحد لكانت عيباً، في حين أن معناها الحقيقي لا يعنى معناها العامي، فمعناها الأصلي هو ما يلبسه الإنسان، قال تعالى عن أهل الجنة: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} (1) وقال: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (2) أي أنه سبحانه وتعالى شبه المرأة بأنها لباس لزوجها، وهو لباس لها، بمعنى أنها ستتر له، وهو ستتر لها، كما يستتر اللباس صاحبه. ربما يقول مجادل: لماذا لم يقل له: أجامعتها؟ فنقول له: إن كلمة (الجماع) لم تُطلق قط على الزنى، ولكنها تطلق على العلاقة الحلال بين الرجل وزوجته، ومن تصفح كتب الفقه من أولها إلى آخرها لا يجد أحداً استخدمها للتعبير عن الزنى.

والآن نجد أنفسنا مضطرين لأن نذكر بعض الألفاظ الجنسية التي وردت في الكتاب المقدس، ولولا الدفاع عن نبينا وحبينا وقرّة أعيننا (ﷺ) ما ذكرناها: وسامحونا على الألفاظ التي ستقرؤها من الكتاب المقدس فهي خادشة الحياء ولكن نذكرها لنبين لهم انه من كان بيته من زجاج فلا يقذف الناس بالحجارة

وايضا الف مرة نقول ،، الا رسول الله ،، فنحن نخدم ديننا بعيدا عن اثارة الجدل وايثارا للمودة ولكن اذا افتريتم واقتربتم من رسولنا بسوء فاستقبلوا وتحملوا

أولاً: وكانت إلى كلمة الرب قائلة. يا ابن آدم عَرَفَ أورشليم برجاساتها وقُل. هكذا قال السيد الرب لأورشليم... أما ميلادك يوم وُلِدْتَ فلم تُقَطع سُرَّتكَ ولم تُغسل بالماء للتنظيف ولم تُمَلَحَ تمليحاً ولم تُقَمَطَ تقميطاً. لم تشفق عليك عين لتصنع لك واحدة من هذه لترق لك. بل طُرِحت على وجه الحقل بكرة نفسك يوم ولدت. فمررت بك ورَأَيْتُكَ مَدُوسَةً بدمك فقلتُ لك بدمك عيشي. قلتُ لك بدمك عيشي. جَعَلْتُكَ ربوة كنبات الحقل فَرَبَوْتَ وكَبُرْتَ وبلغت زينة الأريان. نَهَذَ ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية. فمررت بك ورَأَيْتُكَ وإذا زمنك زمن الحب. فَبَسَطْتُ ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصِرْتَ لى. فحَمَمْتُكَ بالماء وغسلت عنك دماءك ومَسَحْتُكَ بالزيت... فَاتَّكَلْتَ على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت زناك على كل عابر فكان له. وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مُرتفعات موشاة وزنيت عليها. أمراً لم يأت ولم يكن. وأخذت أمتعة زينتك من ذهبى ومن فضتى التي أعطيتُكِ وصنعت لنفسك صُور ذكور وزنيت بها... وفرجت رجلك لكل عابر وأكثرت زناك. وزنيت مع جيرانك بنى مصر الغلاظ اللحم وزدت في زناك لإغاظتى... وزنيت مع بنى آشور إذ كنت

(2) [فاطر:33]

(1) [البقرة:187]

لم تشبى فزيت بهم ولم تشبى أيضاً. وكثرت زناك في أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضاً لم تشبى... أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنيبين مكان زوجها. لكل الزواني يُعطون هدية. أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم لياتوك من كل جانب للزنا بك. وصار فيك عكس عادة النساء في زناك إذ لم يُزن وراءك بل أنت تُعطين أجره ولا أجره تُعطى لك. فصرت بالعكس فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب. هكذا قال السيد الرب... لذلك هأنذا أجمع جميع محبيك الذين لذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك... ويتركوك عريانة وعارية... وأجل غضبي بك فتنصرف غيرتى عنك فأسكن ولا أغضب بعد(1).

إن هذه القصة – بالإضافة إلى ما فيها من ألفاظ جنسية صارخة – تنسب لله سبحانه وتعالى – زوراً وبُهتاناً – أنه مرَّ بأورشليم، فوجدها مُلقاه في الحقل، لم تُقَطَّع سُرَّتُها، ولم يغسلها أحد، فبسط ذيله عليها، وسترها، ونظفها بالماء، ومسحها بالزيت، وألبسها لباساً جميلاً، وأطعمها طعاماً لذيذاً، وحلاها بالذهب والفضة، واتخذها زوجة، وولدت له بنين وبنات، ثم خانتته فزنت، وفعلت ما جاء في النص لتغيظه، فعاقبها بأشد العقوبات حتى تذهب عنه غيرته، ثم غفر لها. وقد اختصرنا بعض الفقرات حتى لا نطيل على القارئ، فمن أراد الاطلاع على القصة كاملة، فليقرأ الإصحاح من أوله إلى آخره.

ثانياً: وهاكم مختصر قصة أخرى وردت في الكتاب المقدس: وكان إلى كلام الرب قائلاً. يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة. وزنتا بمصر. في صباهما زنتا. هناك دُغِغْتَ ثديهما وهناك ترغزغت ترائب عذرتيها. واسمها أهولة الكبيرة وأهولبية أختها وكانتا لى وولدتا بنين وبنات... وزنت أهولة من تحتى وعشقت محبيها أشور الأبطال... كلهم شُبَّان شهوة... ولم تترك زناها من مصر أيضاً لأنهم ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عذرتيها وسكبوا عليها زناهم... هم كشفوا عورتها... فلما رأت أختها أهولبية ذلك أفست في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنى أختها. عشقت بنى أشور... كلهم شُبَّان شهوة... عشقتهم عند لمح عينيها إياهم... فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها. كشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها... وعشقت معشوقهم الذين لحمهم ك لحم الحمير ومنيهم كَمَنَى الخيل. وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك لأجل ذلك يا أهولبية هكذا قال السيد الرب. هأنذا أهيج عليك عُشاقك الذين جفتهم نفسك وآتى بهم عليك من كل جهة... كل بنى أشور شُبَّان شهوة... وأجعل غيرتى عليك... ويتركوك عريانة وعارية فتنكشف عورة زناك ورذيلتك وزناك... وتجتئين ثديك لأنى تكلمت يقول السيد الرب. لذلك هكذا قال السيد الرب من أجل أنك نسيتهى وطرحتهى وراء ظهرك فتحملى أيضاً رذيلتك وزناك(2).

(2) (حزقيال 16: 42-1)

(3) (حزقيال 23: 35-1)

45- الرد على شبهة كيف تعرفون المرأة الودود أي المتحبة وأنتم تحرمون الاختلاط؟

يقول نبيكم: ((تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاتير بكم الأمم))⁽¹⁾ أنى لكم معرفة خصوبتها وهي بكر؟ وأما ((الودود)) وتعنى (المتحبة) فكيف تعرفونها وأنتم تحرمون الاختلاط؟

وردا على هؤلاء نقول ،،، لقد تطورت الأبحاث العلمية لمعرفة خصوبة المرأة، ولو كانت بكرًا، أما في الماضي فكانت تعرف من قريباتها، وخصوصاً أمها، وأخواتها، وخالاتها، لأن الخصوبة من الصفات الوراثية.

أما ((الودود)) فلا تحتاج للاختلاط لمعرفة أخلاقها، بل تُعرف من معاملتها لزوجها السابق، إن كانت ثيبًا، أو بمعاملة أمها مع أبيها، لو كانت بكرًا، لأن البنات غالباً ما يأخذن صفات أمهاتهن، وكذلك من معاملة أخواتها مع أزواجهن، وتُعرف أيضاً بسؤال جيرانها، أو أقاربها، أو صديقاتها، عن أخلاقها وتصرفاتها، والله أعلم.

46- الرد على شبهة أن الصحابة كانوا يقتتلون على فضل وضوء النبي (ﷺ) ونخامته يوم الحديبية.

جاء في كتب السيرة في صلح الحديبية أن نبيكم كان إذا تنخّم نخامة، أخذها أصحابه، ومسحوا بها وجوههم، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على فضل وضوئه، فهل كان نبيكم يرضى عن هذه الأفعال المقززة؟

وردا على هؤلاء ،،، نقول ،،، إن ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن بأمر النبي (ﷺ) ولكنه من فرط حبهم له، والتبرك به، وتعظيمه، كما كانوا يقسمون بينهم شعر رأسه عندما يحلقه،

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن جاءه سيدنا قتادة بن النعمان رضى الله عنه في غزوة أحد، وهو يحمل عينه على كفه، وقال: يا رسول الله.. قُلِّعَتْ عَيْنِي، فبَلَّلَهَا الرسول (ﷺ) بريقه الشريف، ووضعها مكانها، فبرئت بإذن الله، حتى إنه رضى الله عنه قال عنها: فوالله إنها كانت أحدًا من السليمة.

وقد فعل الصحابة رضوان الله عليهم هذا الأمر في صلح الحديبية بالذات لأن عروة بن مسعود الثقفي الذى أرسلته قريش ليتفاوض مع الرسول (ﷺ) قال له متهمًا على أصحابه رضوان الله عليهم: يا محمد.. جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها، إنها قريش قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا، وأيم الله لكأنى هؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا. فرد عليه أبو بكر رضى الله عنه بكلمة شنيعة تناسب قولته، وقال له: أنحن ننكشف عنه؟

وأراد الصحابة رضوان الله عليهم أن يظهروا له شدة تعظيمهم لنبيهم (ﷺ) وحبهم له، ففعلوا ما دُكر في السؤال،

وبالفعل أدهشه ما رأى، وذهب إلى قومه يقول لهم: يا معشر قريش.. إني جئت كسرى في ملكه، وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما، والله ما رأيت ملكاً قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبدًا⁽²⁾

(2) [صحيح الجامع: 2940]

(1) [مسند أحمد]

كما ان أحوال الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – غير سائر البشر، فهي هو سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: (خدمتُ النبي ﷺ) عشر سنين، فما قال لى أفّ قط، وما قال لشيء صنعته لمّ صنعته؟ ولا لشيء تركته لمّ تركته؟

وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، ولا مسست خراً قط، ولا حريراً، ولا شيئاً، كان ألين من كف رسول الله ﷺ. ولا شمت مسكاً قط، ولا عطراً، كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ (1)

فكما أن عرقه ليس كسائر البشر، فكذلك نخامته ﷺ ليست كسائر البشر. ثم إنكم قد حكتم على تصرفات هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم بمنطقكم، لأنكم لم تشعروا بفطر حبهم له، وتعظيمهم إياه، فمن الصعب عليكم تصور ما فعلوه، رغم أن في واقعنا ما يشابهه، فهي الأم تأكل ما يلفظه ابنها من فمه دون أدنى حرج، في حين أن أباه لا يستطيع ذلك، وذلك لفطر حبها له أكثر من أبيه.

والذين يتعجبون من فعل هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم فقد جاء في الكتاب المقدس أن المسيح (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) وضع طيناً على عين الأعمى فأبصر، وتفلّ على الأسم فتكلم: فقالوا له كيف انفتحت عيناك. أجاب ذاك وقال. إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطلّى عيني وقال لى اذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت فأبصرت(2).

وايضاً قالوا،، وجاءوا إليه بأصم أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده عليه. فأخذه من بين الجمع على ناحية ووضع أصابعه في أذنيه وتفلّ ولمس لسانه. ورفع نظره نحو السماء وأنّ وقال له إفتأ. أي انفتح. وللوقت انفتحت أذناه وانحل رباط لسانه وتكلم مستقيماً(3).

47- الرد على شبهة أن النبي ﷺ أصاب من خبير حماراً وكان يتكلم معه.

إن نبيكم أصاب من خبير حماراً، وسماه يعفور، وكان يتكلم معه، ويرسله لينادى أصحابه.

وللرد على هؤلاء المغرضون نقول ،،، إليكم نص هذه القصة المؤلفة المفتراه على رسولنا ﷺ

عن أبي منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خبيراً، أصاب من سهمه أربعة أزواج من البغال، وأربعة أزواج خفاف، وعشر أواق ذهباً وفضة، وحماراً أسود، ومكتلاً. قال: فكلّم النبي ﷺ الحمار، فكلّمه الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدّي ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبي، لم يبق من نسل جدّي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وكنت أتوقع أن تركبني، قد كنت قبلك لرجل يهودي، وكنت أعثرُ به عمداً، وكان يجيع بطني، ويضرب ظهري، فقال النبي ﷺ: "سميتك يعفور، يا يعفور" قال: لبيك، قال: "تشتهي الإناث" قال: لا، فكان النبي ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل، فيأتى الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار، أو ما إليه أن أجب رسول الله ﷺ فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بئر كان لأبى التيهان، فتردّى فيها، فصارت قبره، جزعاً منه على الرسول ﷺ راجع (تاريخ ابن كثير 6: 150) و(أسد الغابة ج 4 ص 707) و(لسان الميزان، باب من اسمه محمد، محمد بن يزيد) و(السيرة الحلبية، غزوة خبير)

(2) [رواه الترمذى في سننه وقال حسن صحيح

(3) (يوحنا: 9: 10-11)

(1) (مرقس: 7: 32-35)

وإليك أقوال العلماء - رحمهم الله - في هذه الرواية:

أولاً: أورد الامام ابن كثير في تاريخه (6 : 150) هذه القصة, وأشار إلى أنها ضعيفة, وقد أنكرها غير واحد من الحفاظ الكبار.

ثانياً: نصّ ابن الأثير في (أسد الغابة ج 4 ص 707) على أن القصة ضعيفة, وليست بصحيحة, وقال في نقله عن أبي موسى عقب ذكر القصة: هذا حديث منكر جداً إسناده ومتناً, لا أجل لأحد أن يرويه عنى إلا مع كلامى عليه.

ثالثاً: أورد الحافظ ابن حجر العسقلاني, في كتاب (لسان الميزان) باب (من اسمه محمد بن مزيد) هذه القصة كمثال للكذب الذى يرويه محمد بن مزيد, وأورد كلام الحافظ ابن حبان, وهذا نصه: هذا خبر لا أصل له وإسناده ليس بشيء. وقال ابن الجوزى: لعن الله واضعه.

رابعاً: قال عنه الإمام السيوطى في كتاب (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة, الجزء الأول, كتاب المناقب): إنه (موضوع) ثم ذكر كلام ابن حبان, وهذا نصه: لا أصل له, وإسناده ليس بشيء, ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن مزيد.

إذن فالحديث موضوع على رسول الله (ﷺ) وهناك آلاف الأحاديث الموضوعة عليه, فهل نتتبعها حديثاً حديثاً حتى نرد عن رسولنا الشبهات؟ فينبغى للمسلم ألا يُصدّق ما صاح به كل ناعق, وعليه أن يستوثق من الأخبار, قبل أن تجنّح به الأفكار, لتهدى به في النار.

الحمد لله ان الكتب الموثوقة لدينا انكرت هذه القصة المفتراه على رسول الله (ﷺ)

ولان الشئ بالشئ يذكر فوجدنا في كتبهم المقدسة قصة رجل تحدث مع الحمار ودار بينهم حوار طويل

ولا يستطيعون التعليق عليها او نكرانها لانه وردت في الكتاب المقدس

فقد جاء في الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ركب على أتان (أنثى الحمار) وجلس ابن أتان, في آن واحد, ونحن لا ندري كيف فعل ذلك؟ فجاء في انجيل متى : قولوا لابنة صهيون هُؤذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان. فذهب التلميذان وفعل كما أمرهما يسوع. وأتيا بالأتان والجحش ووضعوا عليهما ثيابهما فجلس عليهما(1).

والاعجب من هذا انه جاء في الكتاب المقدس أيضاً أن الحمار نطق فمَنع حماقة نبي, وأن الأتان تتكلم: فجاء في رسالة بطرس, ولكنه حصل على توبيخ تعديّه إذ مَنَعَ حماقة النبي جماراً أعجم ناطقاً بصوت إنسان(2).

والى حضراتكم القصة : ثم اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف في مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام. فحمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب. ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام. ماذا صنعت بك حتى ضربتني الآن ثلاث دفعات. فقال بلعام للأتان لأنك ازدريت بى. لو كان في يدي سيف لكنت الآن قد قتلتك. فقالت الأتان لبلعام ألسنت أنا أتانك التي ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم. هل تعودت أن أفعل بك هكذا. فقال لا(3), والله أعلم.

(2) (متى 21: 5-7)

(3) (رسالة بطرس الثانية 2: 16)

(1) (عدد 22: 26-30)

48- الرد على أن النبي (ﷺ) فرض الإسلام على القبائل العربية بالإكراه.

إن الدليل على أن محمداً فرض الإسلام على القبائل العربية بالإكراه، أنه بعد موته ارتد كثير منهم، وتحرروا من الاستعباد الذي فرضه عليهم.

وللرد على هؤلاء نقول ،،،، ان سبب ارتداد بعض القبائل العربية عن الإسلام لم يكن لأنهم أُجبروا على الإسلام، أو الاستعباد، ولكن ما حدث أن بعض شيوخ القبائل (مثل مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح، وغيرهم) ادَّعَوْا النبوة، وأجبروا أقوامهم على ترك الإسلام، واتباعهم تحت وطأة الحديد والنار، ولقد كانت أقوامهم أعلم الناس بأنهم كذابون، فهم أصحاب سيرة سيئة طيلة أعمارهم، ولا يملكون منهجاً من السماء، وقد أحلوا كل الفواحش التي حرَّمها الإسلام، وقاموا بالسلب والنهب، وتهديد القبائل المجاورة لهم، فلم يُعرَف عنهم إلا كل شر، واستغلوا وجود جيش الإسلام بقيادة أسامة رضى الله عنهم على تخوم الروم، وموت النبي (ﷺ) ، فظنوا أنه لا مؤدب لهم، وحسبوا فوزي، فهبَّ الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه لتأديبهم، واستأصل شأفتهم، فأمن بذلك قبائل العرب من شرهم، وهزمهم شر هزيمة، والله أعلم.

49- الرد على قول النبي (ﷺ): "إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر".

،، يقولون ،،، نبيكم يقول : ((إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر))⁽¹⁾ وقال: ((صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ)) وهذا يدل على أن القدوة عندكم مفقودة، لأن كثيراً من الأئمة فجرة، وإذا كان الإمام فاجراً، فالمأموم أفجر.

-ولقد اعجبني رد احد الدعاة فقال لنفهم الحديث الأول أحدثكم عن واقعة حدثت في مصر، عندما احتلها الفرنسيون بقيادة (نابليون بونابرت) عام (1798) فتصدى له المصريون (وخاصة علماء الأزهر) وقاتلوه وجنوده قتالاً مريراً بكل قوة وعنف، فكان الفرنسيون يُقتلون في كل يوم، فاستشار بعض المقربين إليه، وسألهم ما الذى يمكن أن يفعله ليقربه إلى المصريين ويحببه إليهم، فلا يقاوموه هذه المقاومة الشرسة، فقالوا له: إن أعظم شيء يحبه المصريون هو القرآن، يقرأونه أثناء الليل وأطراف النهار، فلو طبعته لهم، ووزعته عليهم، فسوف تستجلب حبهم (وكان قد أحضر معه مطبعة) وكان المصحف قبل ذلك يُنسخ باليد، تشتري الورق من الورّاق، ثم تذهب به إلى النساخ لينسخه، ثم الشكّال ليشكّله (بالضمة والفتحة والكسرة... إلخ) ثم تذهب إلى الأزهر ليراجع، وكل هذه المراحل كانت تتكلف أموالاً كثيرة، وتستغرق وقتاً طويلاً، فطبع نابليون المصحف بكميات كبيرة، ووزعه على المصريين تقرباً إليهم، فأصبح المصحف في كل بيت، بعد أن كان عند الأثرياء فقط، ثم بعد سنوات طويلة جاء الاحتلال الانجليزى لمصر عام (1882) فوجد المقاومة الشرسة نفسها من المصريين، وخاصة من علماء الأزهر الذين يحفظون القرآن الكريم، ففكروا ما الذى يهدئ جذّة المقاومة، فوجدوا أن أكثر الذين يقاومونهم من حفظة القرآن، فقرروا ألا يُدخلوهم الجيش، وفرح الناس بذلك، لأن معظمهم لا يريدون أن يدخلوا أولادهم الجيش تحت إمرة الاستعمار، فاجتهدوا في تحفيظ أولادهم القرآن، فامتلات الكتاتيب بالأطفال، وأصبح غالبية المصريين من حفظة القرآن الكريم، وخرج منهم أئمة القراء في العالم.

(1) [صحيح الجامع:2423]

أما الحديث الثانى الذى ورد في السؤال بخصوص الصلاة خلف الفاجر، فقد ورد في (السنن الكبرى للبيهقى) وضعفه الشيخ (الألبانى) ولكن العلماء أقرّوا العمل به لدرء الفتنة، وتوحيد كلمة المسلمين على إمام واحد، وهو الذى يُعَيَّن من قِبَل ولى الأمر، حتى لا نهجر المساجد، وحتى لا تحدث فُرقة بين المسلمين، وكل مجموعة تختار لها إماماً، ويكون في المسجد الواحد عدة جماعات في وقت واحد.

وعلى أيّة حال فصلاتنا خلف الفاجر أهون من نسبة الكذب والفُجْر – بل الكفر – لأنبياء الله ورسله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كما اتهمهم بذلك الكتاب المقدس، وإذا كان الأنبياء كذبة وفجرة وكفرة.. فكيف بأتباعهم؟ وهذا بعض ما جاء عنهم:

اولا ،،، فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل. فأمسكوهم فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك⁽¹⁾ (فيه نسبة الشرك بالله لبعض الأنبياء)

ثانيا ،،، لأن النبي والكاهن كليهما يطوفان في الأرض ولا يعرفان شيئاً. ⁽²⁾

ثالثا ،،، وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه. ⁽³⁾

رابعا ،،، هأنذا بالإثم صُوِّرْتُ وبالخطيئة حبلت بى أُمى⁽⁴⁾ (ينسبون هذا لسيدنا داود، وهو منه براء)

خامسا ،،، الكاهن والنبي ترنّحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاها من المسكر ضلّا في الرؤيا قليلاً في القضاء. ⁽⁵⁾

سادسا ،،، لذلك أعطى نساءهم لآخرين وحقولهم لمالكين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مُولّع بالريح من النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب. ⁽⁶⁾

سابعا ،،، وجاء فيه أيضاً تعيين القضاة في الكنيسة من المُحتَقَرين، وأن الزوانى يسبقون إلى ملكوت الله (أي جنته): فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة الدنيا فأجلسوا المُحتَقَرين في الكنيسة قضاة. ⁽⁷⁾

ثامنا ،،، قال لهم يسوع الحق أقول لكم إن العشّارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله. ⁽⁸⁾ والله أعلم.

الم نقل لهم ،،، كنا نخدم ديننا بعيداً عن اثاره الفتن واثارا للمودة الا انهم هم من تسببوا في ان تكشف سواتهم فمن يقترب لرسول الله (ﷺ) بسوء فليحذر

(2) (الملوك الأول 18: 40)

(3) (إرميا 14: 18)

(4) (تكوين 9: 20-21)

(5) (مزمو 51: 5)

(6) (إشعيا 28: 7)

(7) (إرميا 8: 10)

(8) (رسالة بولس الأولى إلي كورنثوس 6: 4)

(1) (متي 21: 31)

شبهات حول نساء النبي ((ﷺ))

أولاً: السيدة خديجة - رضي الله عنها -

نبدأ بالسيدة الطاهرة ام المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي رضي الله عنها

والعجيب انه حين لم يجد المغرضون نقصا او عيبا في السيدة خديجة رضي الله عنها اختلقوا شبهات مضحكة لا تنم الا عن غباء وجهل مركبين

1- زعموا ان السيدة خديجة كانت تعلم ان اباهما لن يقبل بزواجها من سيدنا محمد (ﷺ) لكونها من اثرياء مكة وسيدنا محمد (ﷺ) آنذاك كان يعرف بيتيم ابى طالب مما جعلها تسقيه خمرا حتى الثمالة فوافق دون ان يدري

والرد على هذه الشبهة يسير للغاية لان الروايات الحديثة والتاريخية تثبت أمرًا مهما يدل على أن هذه الشبهة لم تحدث، وهي أن خويلد والد السيدة خديجة رضي الله عنها قد توفي قبل زواجها بسنوات قبل حرب الفجار، وبالتالي لم يشهد زواجها. هذا بالإضافة إلى روايات أخرى كثيرة تبين أن الذي زوج السيدة خديجة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو عمها عمرو بن أسد.

وهذه الروايات كثيرة ومنها: "قال الواقدي عن الشبهة"، وهذا غلط والثبت عندنا المحفوظ من حديث محمد بن عبدالله بن مسلم عن أبيه عن محمد بن جببر بن مطعم ومن حديث ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ومن حديث ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أباهما مات قبل الفجار. (1)

وكذلك كما في الطبقات "وفي كون المزوج لها أبوها خويلد أو كونه حضر تزويجها نظر لأن المحفوظ عن أهل العلم أن خويلد بن أسد مات قبل حرب الفجار. (2)

إذا القول بأن من زوجها هو أباهما قول باطل أنكرته الروايات الصحيحة لأن أبو السيدة خديجة قد توفي قبل حرب الفجار وقبل زواجها بسنوات طويلة تصل إلى 20 عامًا. تذكر لنا سيرة ابن اسحاق قصة زواج السيدة خديجة الصحيحة الخطبة التي خطبها عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو طالب الذي قال خطبة عظيمة بين فيها شرف نسب النبي، ورد عم السيدة خديجة عليه بالموافقة والتزويج.

2- زعم المغرضون ان النبي (ﷺ) هو الذي خطط ورتب للزواج من السيدة خديجة طمعا في ما عندها ،،،حاشاه (ﷺ) ،،

فقد اتفقت الروايات كلها على أن السيدة خديجة رضي الله عنها هي التي خطبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتتشرف بالزواج منه، وذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت خديجة في صحبة عمه حمزة وأبي طالب الذي قام خطيباً في قوم السيدة خديجة، وكان مما قاله أبو طالب: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محبوباً، وحرماً آمناً، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل من قريش شرفاً ونبلاً وفضلاً إلا رجع به محمد، ومحمد من قد عرفتم، وله في خديجة

(2) تاريخ الطبري

(1) الطبقات لابن سعد

رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتكم من الصداق فعليه." فقال عمها عمرو بن أسد موافقاً على هذا العرض الكريم: "هو الرجل لا يرد." أي: هو الكفاء الكريم الذي لا يرد طلبه

3- وهي اغرب شبهه : وهي انهم يزعمون ان زواج الرسول (ﷺ) من السيدة خديجة رضى الله عنها كان زواجا نصرانيا وان الذى عقد قرانهما هو ورقة بن نوفل النصرانى

وهذا افتراء وكذب لان الروايات اجمعت على ان من زوجها هو عمها عمرو بن اسد ولم يكن لورقه في هذا رأي فهو مجرد ابن عمها ونحن نعلم كم كان العرب يوقرون الكبار، ثم ان قريش بالذات من المدن التي استعصت على الاديان كلها حتى الاسلام عانى منها الامرين الى ان هدهم الله تعالى يوم فتح مكة فلم نعلم ان قريش عبدت نار المجوس يوما ولا صليب النصارى وقد حمى الله مكة من ان تقام فيها كنيسة وعبادة الصليب ولم تسمح لاحد ذلك بدليل ان عبد المطلب حين جاء ابرهه لهدم البيت الحرام حذره عبد المطلب من ان للبيت ربا سيحميه من أي عابث ثم امر قريش باللجوء للرجال وامسك بحلق الكعبة وقال اللهم ان العبد يحمي رحله فأحمي يارب رحالك لا يغلبن صليبيهم ومحالهم ابدا محالك ارايت ان عبد المطلب يعلم ان ما عليه قريش من دين ابراهيم عليه السلام وان كان شابه تغيرات كثيرة الا انه افضل من عبادة الصليبان.

اذن فلم تسمح قريش لا لورقة بن نوفل وغيره ان يقيموا عبادة الصليب بمكة صحيح ان ورقة كان قد قرا في كتب اليهود وعلم ان هناك نبي قد ان اوانه من البشارات الموجودة بكتب اليهود والنصارى بدليل انه حين جاءه الرسول ليسائله عما حدث له في الغار طمأنه وتمنى ان يكون شابا ليؤمن برسول الله وينصره ويؤازره لأنه وقتها كان تقريبا بلغ المائة عام فلو كان قسا نصرانيا لكان من الاولى دعا رسول الله واهل مكة للايمان بالنصرانية ولكن هذا لم يحدث ثم هل انا تبهر انسان في علوم الاخرين بصبح من اهل دينهم فنحن مثلا في عصرنا نرى دكتور ذاكر نايك اتاه الله علما في مجال الديانات ان جاز التعبير يمكنه من مجادلة اهلها واقامة الحجة عليهم فهل هذا يجعلنا نقول عنه انه كذا او كذا مستحيل

4- يزعمون -ان نبينا محمد (ﷺ) حاول الانتحار بعدما رأى جبريل في غار حراء.

إن ما ورد عنه (ﷺ) من أنه حاول الانتحار بعدما رأى جبريل عليه السلام في غار حراء، فهي روايات غير صحيحة، وإلا- فما الذى منعه من الانتحار؟ ولو صحّت هذه الروايات - جدلاً - فهي لا تعدو كونها خاطرة من شدة خوفه على نفسه أن يكون قد أصابه مس من الشيطان أو الجنون، وكان أبغض شيء إليه أن يُصاب في عقله، فقد كان جالساً وحده في الغار، فظهر له جبريل عليه السلام على هيئته التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح تملأ الأفق، فكان منظراً مُرَوِّعاً، وخصوصاً أنه أتاه في ظلام الليالي الأخيرة من رمضان. ثم إنه لو صح الخبر، لا يُؤاخذ على ذلك لسببين: الأول: أنه لم يكن حينها مُكَلِّفاً.

الثاني: أن الإنسان لا يؤاخذ بما حدثته به نفسه، وقد ورد في الكتاب المقدس أن شاول - وهو أحد أنبياء بنى اسرائيل - مات منتحراً: فقال شاول لحامل سلاحه اسْتَلْ سيفك وأطعني به لئلا يأتى هؤلاء الغُلف ويطعنونى ويقتلونى. فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً. فأخذ شاول السيف وسقط عليه. ولَمَّا رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه(1).

5- التشكيك في نبوة سيدنا محمد - (ﷺ) - بزعم أن السيدة خديجة - رضي الله عنها - لم تعترف بها ويبرهنون على ذلك بما يدعونه من أن مشاركتها إياه في حياته الدعوية نابع من خوفها عليه وعلمها بحقيقة دعوته الزائفة، ثم إنها كانت تخاطبه بقولها: "يا أبا القاسم، يا محمد"، وما نادته بالنبوة ولا بالرسالة، فما سمعت تقول: يا نبي الله ولا يا رسول الله! ويرمون من وراء ذلك إلى التشكيك في نبوة محمد - (ﷺ) - بنفي إيمان زوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها - بها.

لا حول ولا قوة الا بالله ،،، سبحانه هذا بهتان عظيم ،،،

1) كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - تدرك عظمتها (ﷺ)، وتعلم مدى صدقه وأمانته قبل بعثته؛ ولذلك تزوجت به، ثم إنها لما بعث النبي - (ﷺ) - ناصرتة وأمنت به حين خذله الناس، لا غضاضة في أن تناديه بكنيته أو باسمه؛ لأنه زوجها، وليس ذلك دليلا على عدم إيمانها بنبوته؛ فقد تنادي زوجة الدكتور أو المهندس - مثلا - زوجها باسمه ولا يشكك ذلك في كونه دكتورا أو مهندسا، والله ولرسوله المثل الأعلى.

2) لقد كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - أول من آمن بالنبي - (ﷺ) - إذ آمنت به بعد أول لقاء له مع جبريل - عليه السلام - في غار حراء.

3) إن في مساندة السيدة خديجة - رضي الله عنها - النبي - (ﷺ) - ودعوته بكل ما أوتيت من قوة ومال، ووقوفها بجانبه حتى توفاه الله - عز وجل - من جهة، وفي وفاء النبي - (ﷺ) - لها طول حياته من جهة ثانية؛ ما يشهد على إيمانها بنبوته في مقابل ما زعمه هؤلاء.

6- يزعمون ان خديجة هي التي اثبتت الوحي للرسول (ﷺ)

قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير : أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله (ﷺ) أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال نعم . قالت فإذا جاءك فأخبرني به . فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله (ﷺ) لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني ، قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى ؛ قال فقام رسول الله (ﷺ) فجلس عليها ، قالت هل تراه ؟ قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذي اليمنى ؛ قالت فتحول رسول الله (ﷺ) فجلس على فخذه اليمنى ، فقالت هل تراه ؟ قال نعم . قالت فتحول فاجلس في حجري ، قالت فتحول رسول الله (ﷺ) فجلس في حجرها . قالت هل تراه ؟ قال نعم قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله (ﷺ) جالس في حجرها ، ثم قالت له هل تراه ؟ قال لا ، قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان

قال ابن إسحاق : وقد حدث عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنني سمعتها تقول أدخلت رسول الله (ﷺ) بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله (ﷺ) إن هذا لملك وما هو بشيطان

الجواب: هذه رواية مكذوبة لأنها مروية من طريقين:

1) فيها انقطاع ، لأن اسماعيل بن أبي حكيم لم يسمع من خديجة رضي الله عنها ، وقال : أنه حَدَّثَ عن خديجة (بضم الحاء وكسر الدال) ولم يذكر من حدثه عنها ، وهذا كاف لإبطال هذه الطريق.

2) وهي عن فاطمة بنت حسين عن خديجة، وفاطمة هي بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهي تابعة ولدت بعد وفاة خديجة بنحو ثلاث وأربعين سنة، ففاطمة على هذا لم تسمع من خديجة، فيصبح الحديث من المراسيل وهذا أيضا كاف لتضعيف هذه الطريق، وحتى الحسين رضي الله عنه لم ير خديجة لأنها توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، والحسين ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة أي بعد وفاتها بسبع سنين، فإذا كان أبوها لم يسمع من خديجة، فكيف بابنته فاطمة؟ رضي الله عنهم جميعا.

إذن لا يوجد واحدا ممن رواها أدرك عصر الواقعة ليحدث عنها.

ثم لو نظرنا في متن الحديث ترى هل يعقل أن خديجة رضي الله عنها وهي أول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم تقوم بمثل هذه التجارب؟ ولتختبر من؟ محمد أم جبريل؟ وهل النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لتجربة خديجة رضي الله عنها؟ أم أن النبي أصبح يأخذ العلم من خديجة

7- يزعمون ان النبي (ﷺ) لم يستطع التعدد مع خديجة رضي الله عنها ولهؤلاء نقول :

أولا : بان الرسول (ﷺ) انما هو رسول الله ومتبع اوامر الله فلا يفعل من نفسه شيئا وبخاصة في مسألة الزواج فلم يترك الرسول (ﷺ) التعدد مع خديجة رضي الله عنها بهواه وما عدد الرسول (ﷺ) بعدها بهواه

ثانيا: من مثل خديجة رضي الله عنها كان أول ما يظهر من ملامح السيدة خديجة الشخصية صفتي العفة والطهارة، هاتان الصفتان التي قلما تسمع عن مثلها في بيئة لا تعرف حراما ولا حلالا، في بيئة تفشت فيها الفاحشة حتى كان البغايا يضعن شارات حمراء تنبئ بمكانهن.

وفي ذات هذه البيئة، ومن بين نساءها انتزعت هذه المرأة العظيمة هذا اللقب الشريف، ولقبت بـ"الطاهرة"، كما ألقب رسول الله (ﷺ) أيضا في ذات البيئة بـ"الصادق الأمين"، ولو كان لهذه الألقاب انتشار في هذا المجتمع آنذاك، لما كان لذكرها ونسبتها لأشخاص بعينهم أهمية تذكر.

ومن سماتها أيضا الحكمة والعقل فكل المصادر التي تكلمت عن السيدة خديجة -رضي الله عنها- وصفتها بـ"الحزم والعقل"، وقد ألقى الله تعالى في قلبها صفاء الروح، ونور الإيمان، والاستعداد لتقبل الحق، فحين نزل على رسول الله في غار حراء ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽¹⁾ رجع ترجف بوادره وضلوعه، حتى دخل على السيدة خديجة فقال: "زملوني زملوني". فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

وهنا قال لخديجة رضي الله عنها: "أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي". وأخبرها الخبر، فردت عليه السيدة خديجة -رضي الله عنها- بما يطيب من خاطره، ويهدئ من روعه فقالت: "كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق."

واسهمت السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها في سبيل الاسلام ما يحسب لها فقد كانت تجد حلا لأي مشكلة تقف في وجه الدعوة، وتقدم على شراء من تستطيع من العبيد وتعتقهم لوجه الله وتوفر عملا للفقراء المسلمين. وكانت السيدة خديجة منشرحة القلب، وتقبل على الناس بنفس

(1) [العلق: 1]

راضية مطمئنة، ولم تتأثر بما كانت قريش تفعله في تجارتها، والمشركون حاولوا محاصرتها تجاريًا وتسليط اللصوص عليها حتى لا تساعد المستضعفين، فكان رد الفعل أن تكثر من مساعدة المستضعفين.

كلما ضيقوا على مالها كانت البركات تنزل عليها، وإذا وجدت عبدًا اعتقته لوجه الله، وتقلب وجهها في السماء شكرًا لمشاركتها في الدعوة مع الرسول (ﷺ)

ولذلك أعلنها الرسول (ﷺ) صراحة حين قال ، «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنْتُ بِهَا إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ.»

أذن السيدة خديجة رضى الله عنها قامت بدور الزوجة الكاملة للنبي (ﷺ) فكانت لديها كل مقومات الكمال فلم يجد من يكافئ قدرها فقال عنها "رزقت حبها" فصبرت وتحملت معه أحلك الأوقات.

ودليل هذا الحب النظيف العفيف وأنه من الله، انه حينما ذهب النبي (ﷺ) إلى حجة الوداع إلى مكة، نصب خيمته بجوار قبر خديجة رضى الله عنها حتى يرسل رسالة للعالم رسالة وفاء، فكانه يقول "صاحبة هذا القبر هي شريكة معي في هذه الرسالة."

وليس هذا فحسب بل ان النبي محمدًا -صلى عليه وسلم-، كان يحب السيدة خديجة حتى بعد وفاتها، فقد كان يصر على أن يخرج جزءًا من ماله صدقة على روحها الطاهرة.

والسيدة خديجة كانت دائمًا تشغل النبي (ﷺ) -حتى بعد وفاتها، حتى إنه استقبل سيدة عجوزًا في مجلسه وافترش لها عباءته، لمجرد أن السيدة خديجة -رضي الله عنها- كانت تحبها، فكان يبر كل من يحبها وفاءً لزوجته. «وحين حوَّصر المسلمون في شعب أبي طالب نتيجة للمقاطعة الظالمة كانت أموال وتحارة السيدة خديجة رضى الله عنها هي التي تعين المسلمين حتى تجاوزوا هذه المحنة وقد كافأها الله تعالى إذ بشرها وهي في الدنيا بيت في الجنة،،، فعن أبي إبراهيم، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو معاوية عبد الله بن أبي أوفى: "أن رسول الله ﷺ بشر خديجة -رضي الله عنها- ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب"،،، متفق عليه. ولأن الله تعالى يعلم عظم مكانتها عند رسول الله (ﷺ) فحين انتقلت الى جوار ربها واطلمت الدنيا في عين رسول الله فما كان يسرى عن رسول الله (ﷺ) غياب السيدة خديجة رضى الله عنها الا رحلة الاسراء والمعراج تفريجا لكرب رسول الله (ﷺ) ولاسباب اخرى نذكرها في حينها ان شاء الله تعالى

ثانياً : السيدة عائشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها وعن ابيها ام المؤمنين الحصان الرزان الصديقة بنت الصديق الموفقة

الشبهة الأولى : يزعمون ان ،،،،،حادثة الإفك ،،،،،حدثت لمارية القبطية رضي الله عنها وليس لعائشة رضي الله عنها

ونقول ،،،،،بعدها عجز الروافض على الرد بشكل عقلاني وسليم على ما خالفوا به رب العالمين والقرآن الحكيم من تبرأة تامة لأم المؤمنين والصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله عائشة رضي الله عنها بدأوا يلفون ويدورون ويحاولون أن يحرفوا الكلم عن مواضعه كما عودونا ،، فجاءنا بعض المتأخرين منهم ليقول بأن آيات البراء من الإفك لم تنزل في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وإنما نزلت في ماري القبطية رضي الله عنها وعن كل امهات المؤمنين زوجات رسول الله (ﷺ) ليخالفوا في ذلك ما اتفق عليه كثير من مفسريهم أمثال/ الطبرسي، / الطوسي في أن هذه الآيات إنما نزلت في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

واعتمدوا فقط على رواية/ المجلسي ، والذي يزعم فيه هذا بل يزعم أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي التي جاءت بالإفك وحدها فيألى الوقاحة الرافضية المجوسية اليهودية إليكم ما قاله / المجلسي

واسمحوا لنا ان ننقل حديثه عن حادثة الافك كاملا دون تصريف او تعديل ،، ثم نعلق عليه

-حدثنا : محمد بن جعفر ، قال : ، حدثنا : محمد بن عيسى ، عن ، الحسن بن علي بن فضال قال : ، حدثني عبد الله بن بكير ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : لما هلك إبراهيم بن رسول الله (ص) حزن عليه رسول الله (ص) حزناً شديداً ، فقالت عائشة : ما الذي يحزنك عليه ؟ فما هو إلا ابن جريج ، فبعث رسول الله (ص) علياً (ع) وأمره بقتله ، فذهب علي (ع) إليه ومعه السيف وكان جريج القبطي في حائط فضرب علي (ع) باب البستان فأقبل إليه جريج ليفتح له الباب ، فلما رأي علياً عرف في وجهه الشر فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب ، فوثب علي (ع) على الحائط ونزل إلى البستان وأتبعه وولى جريج مدبراً ، فلما خشى أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي (ع) في إثره ، فلما دنا منه رمى جريج بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته ، فإذا ليس له : ما للرجال ولا له : ما للنساء ، فأنصرف علي (ع) إلى النبي (ص) ، فقال : يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالسمسمار المحمى أم أثبت ؟ ، قال : لا بل أثبت ، قال : والذي بعثك بالحق ماله : ما للرجال وماله : ما للنساء ، فقال : الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت.

وللرد على هذه الشبهة أولاً :: بالنسبة لوجود ،،،،،ص ،،،،، بعد النبي يقصدون بها (ﷺ)

،،،،،ع ،،،،،بعد على رضي الله عنه يقصدون عليه السلام

ونحن تركناها كما هي حتى لا نتصرف في الرواية بل نذكرها كما جاءت ثم ان زمن نزول الآية يؤكد أنها نزلت في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

ذلكم أن حادثة الإفك حصلت وحدثت مجرياتها في شهر شعبان للعام الخامس من الهجرة بعد غزوة بني المصطلق وفي هذا التوقيت نزلت هذه الآيات المحكمات أما أم المؤمنين مارية القبطية رضي الله عنها فإنها لم تصبح ملك رسول الله (ﷺ) إلا بعد صلح الحديبية :: أي في

السنة السابعة من الهجرة :: فالفارق الزمني كبير وهو 4 سنوات بين أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين مارية القبطية رضي الله عنهن

كما ان نص القرآن الكريم يقول أنها نزلت في عائشة رضي الله عنها

يقول الله تبارك وتعالى :: إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم :: وهذا ما يخالف معتقد الرافضة فهم يقولون بأن من جاء بالإفك على أم المؤمنين مارية القبطية رضي الله عنها :: زعموا :: هي عائشة رضي الله عنها وحدها ,, فهذه مخالفة واضحة لظاهر القرآن وللعلم بالعصبة في اللغة العربية :: العصبة تبلغ من 10 إلى 40 شخص :: ولنفترض أن هذا لا يجوز الاستدلال به أو لم يرى الرافضة أن الله تبارك وتعالى قال :: والذي تولى كبره :: فالآية جاءت تتحدث عن ذكر وليس عن أنثى فلم يقل الله تبارك وتعالى :: والتي تولت كبره :: وهم يقولون أن الإفك قامت به أمنا عائشة وليس أبي بن سلول ولا أي شخص آخر

ولنسمع لقصة الإفك بالتفصيل منها رضي الله عنها فهي صاحبة القصة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق الأكبر خليفة رسول الله (ﷺ) أبي بكر الصديق، وقد روى الحديث البخاري وغيره: قالت عائشة: كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله (ﷺ) معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله (ﷺ) بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله (ﷺ) من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقمنا حين أذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.

قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتلموا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن، ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة اليهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داء ولا مجيب.

فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأني، وكان رأني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه ،،،، أي قال. ،،،، أنا لله وأنا إليه راجعون ،،،، حين عرفني، فخمريت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمنا إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول.

قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضا: لم يسلم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش، في ناس آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة، كما قال الله تعالى، وإن كبر ذلك يقال له: عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال عروة، كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال: فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرييني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله (ﷺ) اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله (ﷺ) فيسلم، ثم يقول: (كيف تيكم). ثم ينصرف.

فذلك يرييني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نفهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بنس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ وقلت: وما قال؟ فأخرتني بقول أهل الإفك.

قالت: فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله (ﷺ) فسلم، ثم قال: (كيف تيكم). فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله (ﷺ)، فقلت لأمي: يا أمته، ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية، هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم.

ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله (ﷺ) علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يسألها ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة أشار علي رسول الله (ﷺ) بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك، ولا نعم إلا خيرا.

وأما علي فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله (ﷺ) بريرة، فقال: (أي بريرة، هل رأيت شيء يريبك). قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله (ﷺ) من يومه فاستعذر من عبد الله ابن أبي، وهو على المنبر، فقال: (يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي).

قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرک، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرک. قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذ، وهو سعد بن عباد، وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عباد: كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت فتار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله (ﷺ) قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله (ﷺ) يخفضهم، حتى سكتوا وسكت.

فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبوي عندي، قد بكيت ليلتين ويوما، ولا يرقأ لي دمع لا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما أبوي جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله (ﷺ) علينا فسلم ثم جلس، قالت: لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء.

قالت: فتشهد رسول الله (ﷺ) حين جلس، ثم قال: (أما بعد، يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه).

قالت: عائشة: فلما قضى رسول الله (ﷺ) مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله (ﷺ) عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله (ﷺ)، فقلت لأمي: أجيب رسول الله (ﷺ) فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله (ﷺ).

فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا: إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنني منه بريئة، لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أنني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله (ﷺ) في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله (ﷺ) مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات، من ثقل القرآن الذي أنزل عليه.

قالت: فسرى عن رسول الله (ﷺ) وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: (يا عائشة، أما والله فقد برأك). فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى: إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم. العشر الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - غفور رحيم. قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا، قالت عائشة: وكان رسول الله (ﷺ) سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: ماذا علمت، أو رأيت). فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (ﷺ) فعصمها الله بالورع.

وهنا سؤال لماذا تأخر الوحي الإلهي في حادثة الإفك؟

حينما خاض المنافقون في عرض زوج النبي (ﷺ) عائشة رضي الله عنها فيما عُرف بحادثة الإفك، وطال الأمر والناس يخوضون، لم ينزل الوحي في تلك الفترة فأبطأ عن النبي (ﷺ)، تقول عائشة رضي الله عنها: (وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد، ثم قال: يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه).

بل إن النبي (ﷺ) كان يطلب مشورة قومه فيمن قذف زوجته، حيث يقول (ﷺ): (أما بعد أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي، وأيم الله ما علمت على أهلي من سوء قط)، فالنبي (ﷺ) استشارهم فيما يفعل بمن قذف عائشة؟ فأشار عليه سعد بن معاذ وأسيد بن حضير بأنهم واقفون عند أمره موافقون له فيما يقول ويفعل، فلما نزل الوحي ببراءتها أقام حد القذف على من وقع منه. ولو فرضنا أن القرآن من عند محمد (ﷺ)، فهل يستدعي الأمر أن يستشير صحابته فيمن يقذف عرضه؟!

وهذه الحادثة مع ما فيها من آلام شديدة، تركت وراءها العديد من الحكم الجليلة، والفوائد الكثيرة، التي ينبغي الاستفادة منها في واقعنا كأفراد ومجتمعات، منها

كما أظهرت هذه الحادثة أن الوحي ليس شعورا نفسيا أو إلهاما، كما أنه ليس شيئا خاضعا لإرادته ورغبته - (ﷺ) - ، مما يدعيه محترفو التشكيك في الإسلام والتلبيس على المسلمين، إذ لو كان الأمر كذلك، لكان من السهل عليه - (ﷺ) - أن ينهي هذه المحنة التي آذته وأذت زوجته والمسلمين من يوم وقوعها، لكنه لم يفعل، لأنه لا يملك ذلك.. فماذا كان يمنعه - لو أن أمر القرآن بيده - أن ينطق بهذه الآيات من بداية هذا الإفك وهذه الإشاعة الكاذبة، ليحمي بها عرضه، ويقطع ألسنة الكاذبين؟،

وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلا كبيرا على بشرية الرسول - (ﷺ) - ونبوته في وقت واحد..

منها : تغير الرسول مع عائشة ، وسأل عنها مولاتها بريرة ، وسأل كذلك عليا وأسماء ، وفي شروحات الحديث يقول العلماء ، ومنهم ابن حجر : إنه يجوز للنبي الشك في زوجته بسبب ما قيل ؛ لأنه بشر ،

85

1) هل يقال أنه ما دام النبي فعل ذلك فذلك يحق لكل رجل من أمته مثله ، فإن كان المعصوم قد حزن وشك في زوجته فكيف بمن دونه ؟

2) هل يحق للرجل الشك في زوجته ومشاورة أحد في فراقها ، ولم يثبت عليها شيء ، كما شاور النبي عليا وأسامه ؟ أم الصحيح أن يقال : إن ما حدث من النبي كان قبل نزول التشريع بوجوب الإتيان بأربعة شهداء وإلا لا يقبل الاتهام ؟

ويقول السائل ،،،، أنا كلما راجعت الحديث ورأيت موقف أسامة بن زيد أقول : نعم القول ما قال ؛ لأنه أنصف أمنا عائشة ، وقدم حسن الظن ما دام أنه لا دليل ، وأما موقف علي فأجلس أتأمل فيه بأنه من الصعوبة بمكان إذ قال للنبي النساء دونها كثير ، لكن قرأت لبعض العلماء أن موقف علي هو الأصوب في حق النبي (ﷺ) ؛ لأنه حزن مما قيل ، والأفضل له الانتهاء من هذا الحزن ، ولذا كان كلام علي ، لكنني أشعر بالشفقة تجاه أم المؤمنين ، وأني لو حدث ذلك معي مثلاً لغضبت إن قال صديق لزوجي ذلك بلا بينة أو دليل ، فكيف بأمتنا عائشة رضوان الله عليها؟

فهل إن قال أحد مثل ذلك في زمننا يعد هذا منه جائزاً ، أم ليس له الكلام بلا بينة ؛ لئلا يكون مخيباً لرجل على زوجته؟

3) لما نزلت براءة أمنا عائشة ، وقالت لها أمها : قومي فاشكري رسول الله ، فقالت والله لا أحمد إلا الله ، وفيه يقول العلماء في شرحه : إن هذا عتاب منها للنبي ؛ لأنه شك في أمرها ، وقال لها : إن كنت ألممت بذنب فاستغفري ، فهل يصدق على هذا حقاً أنه عتاب منها له لشكه فيها ؟

الجواب كما ذكره العلماء الحمد لله.

فإن الله برأ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما قاله فيها أهل الإفك والبهتان ، وأجمع أهل العلم على أن من اتهمها بما برأها الله منه ، بعد نزول براءتها : فهو كافر .

قال العراقي في "طرح التثريب" (69/8) : "صَارَتْ بَرَاءَةُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مِنْ الْإِفْكِ بَرَاءَةً قَطْعِيَّةً بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، فَلَوْ شَكَّ فِيهَا إِنْسَانٌ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى صَارَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ". انتهى

أما الجواب عما جاء في السؤال فبيانه كما يلي:

أولاً : هل شك النبي (ﷺ) في زوجته أم لا ؟

بداية يجب أن يعلم أن النبي (ﷺ) لم يظن قط وقوع الفاحشة من عائشة رضي الله عنها ، وإنما كان قصده بقوله (ﷺ) : "إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله" : هو احتمال وقوع الصغائر لا الفاحشة.

قال ابن العربي في "عارضة الأحوذى" (52/11) : "قول النبي صلى الله عليه وسلم : يا عائشة إن كنت قارفت أو ظلمت (: لم يرد به النبي صلى الله عليه وسلم قط أنه الفاحشة ، ومن قال ذلك فقد كفر كفراً مبيناً ، فإنه ما بغت امرأة نبي قط ، وما كان الله ليلسط علي فراش رسوله من يلطخه ، وهو قد صانه عن أن تتكح أزواجه من بعده ، فكيف من أن يتمكن من الفاحشة فيهن "انتهى.

وأما مسألة هل حصل للنبي (ﷺ) نوع شك فيما قاله أهل الإفك ؟

فهذه المسألة فيها قولان لأهل العلم:

القول الأول : يرى أن النبي (ﷺ) لم يشك قط في عائشة رضي الله عنها ، وأنه كان يعلم ببراءتها ، لعلمه ببراءة نساء الأنبياء عن الوقوع في الفاحشة ، ولعلمه بما عليه عائشة رضي الله عنها ، إلا أنه (ﷺ) لما كان لا يجوز أن يحكم لنفسه ، ولعلمه أنه لا يكفي حكمه وقوله في عائشة رضي الله عنها ، في قطع إفك الكذابين: انتظر نزول الوحي ليكون أقطع للأمر ، فلما استبطأ نزول الوحي استشار علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وغيرهما.

قال ابن حجر في "فتح الباري" (480/8) في شرحه لحديث الإفك : " وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) كَانَ لَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ إِلَّا بَعْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ ، لِأَنَّهُ (ﷺ) لَمْ يَجْزَمْ فِي الْقِصَّةِ شَيْءٌ قَبْلَ نَزُولِ الْوَحْيِ . نَبَّهَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ " انتهى.

القول الثاني : أن النبي (ﷺ) حصل له نوع شك لأجل ما حدث ، مع رجحان براءتها عنده ، إلا أنه لم يتيقن ذلك إلا بعد نزول الوحي ، وجوز هؤلاء أن يكون النبي (ﷺ) لم يكن بعد أوحى إليه اشتراط براءة نساء الأنبياء من الفاحشة ، ومعلوم أنه لا عصمة لأحد سوى الأنبياء ، ولعلمه أن حسن الظن لا يحسم القيل والقال: انتظر الوحي ، وأنه لما استبطأ الوحي استشار علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد في فراق أهله ، ثم خرج على الناس يقول لهم : مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَدَاءَهُ فِي أَهْلِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي.

قال شيخ الإسلام في "الرد على البكري" (654/2) : " وقد تنازع الناس في النبي صلى الله عليه وسلم هل كان يعلم ببراءة عائشة قبل نزول الوحي ، مع اتفاقهم على أنه لم يجزم بالبرية :

فمن الناس من قال يعلم ببراءتها ، وكذلك علي ، ولكن لخوض الناس فيها ورميها بالإفك : توقف.

قالوا : وذلك أن نساء الأنبياء ليس فيهن بغي ، كما قالت طائفة من السلف : ما بغت امرأة نبي قط ، لأن في ذلك من العار بالأنبياء ، ما يجب نفيه.

وقال آخرون: بل كان النبي (ﷺ) حصل له نوع شك ، و ترجحت عنده براءتها ، و لما نزل الوحي حصل اليقين.

قالوا : والدليل على ذلك أنه استشار عليا وأسامة . قال أسامة : أهلك يا رسول الله ولا نعلم إلا خيرا ، وقال علي : لا يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك. فسأل النبي صلى الله عليه وسلم بريرة : ما علمت على عائشة أو ما رأيت ؟ فقالت : ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تير الذهب الأحمر ، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها حتى تأتي الداجن فتأكله.

فسؤاله لبريرة ، واستشارته لعلي وأسامة : دليل على حصول الشك فيها ، وهو لما خطب ما جزم بالبراءة ، فقال فيما قال : والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي " ؛ ولو كان جازما بالبراءة لقال : إنهم كذبوا على أهلي وافتروا ، وإن أهلي لبريئة مما قيل ، ونحو ذلك.

ونفي العلم، ليس علما بالعدم ، لكن هذه العبارة تصلح لدفع المتكلم ونهيه ، وذمه على قبول القول ، كما قال تعالى : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) .(1)

والعدل الذي عرفت عدالته ، إذا لم يعلم فيه من له به خبرة ، ما ظن به .. ، كان عدلا عنده ، فإذا جرحه جارح لم يعلم صدقه ، بل ترجح عنده كذبه : لم يقدح في عدالته ، ولم يوجب الجزم ببراءته.

قال صاحب هذا القول : ولولا نزول براءتها من السماء لدام الشك في أمرها ، وإن كان لم يثبت شيء ؛ ففرق بين عدم الثبوت ، مع حد القاذف ، وبين البراءة المنزلة من السماء من الله عز وجل.

ولهذا ذكر غير واحد من العلماء اتفاق الناس ، على أن من قذفها بما برأها الله تعالى منه : فقد كفر ، لأنه مكذب للقرآن ... "انتهى.

وقال الألوسي في "روح المعاني" (122/18) : "ولعل الحق : أنه عليه الصلاة والسلام قد أخفي عليه أمر الشرطية ، إلى أن اتضح أمر البراءة ، ونزلت الآيات فيها ، لحكمة الابتلاء ، وغيره مما الله تعالى أعلم به ، وأن قول أولئك الأصحاب رضي الله تعالى عنهم : سبحانه هذا بهتان عظيم ، لم يكن ناشئا إلا عن حسن الظن ، ولم يتمسك به (ﷺ) ، لأنه لا يحسم القول والقيـل ، ولا يُرد به شيء من الأباطيل ". انتهى

ثانيا : أما قول السائل هل يحق للرجل أن يشك في امرأته ولم يثبت عليها شيء ؟ فنقول: أن الأصل حرمة إساءة الظن بالمسلمين ، وتتبع عوراتهم ، إلا ببينة واضحة ، أو أمارات ظاهرة.

وقد روى مسلم في "صحيحه" (715) ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَوْرَاتِهِمْ. "

قال ابن بطال في "شرح صحيح البخاري" (369/7) في شرحه لهذا الحديث : "ومعنى الحديث النهي عن التجسس على أهله ، ولا تحمله غيرته على تهمتها ، إذا لم يأنس منها إلا الخير " انتهى.

وقال الصنعاني في "سبل السلام" (206/2) : "وَفِي الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْبُعْدِ عَنْ تَتَبُّعِ عَوْرَاتِ الْأَهْلِ ، وَالْحَثُّ عَلَى مَا يَجْلِبُ التَّوَدُّدَ وَالتَّحَابَّ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَعَدَمُ التَّعَرُّضِ لِمَا يُوجِبُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَهْلِ ، وَبَغْيُهُمْ أَوْلَى " انتهى.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين كما في "فتاوى نور على الدرب" (شريط 38) : "ما حكم الشك في الزوجة إذا جاء عن طريق الوسواس والأوهام؟ وهل يجب الطلاق؟

الجواب: فقال الشيخ: هذا من الشيطان ، أن يتوهم الإنسان في زوجته انحرافاً في سلوكها وأخلاقها ، والواجب عليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، وألا يلقي لهذه الوسواس بالاً.

وقد جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله ، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. يُعَرِّضُ بها ، فقال النبي (ﷺ) له: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورك؟ قال: نعم. قال: من أين أصابها ذلك؟ فقال الرجل: لعله نزعه عرق. فقال رسول الله (ﷺ) له: وابنك هذا لعله نزعه عرق.

فبين له النبي (ﷺ) أن مثل هذا لا يوجب الشك في المرأة، مع أنه أمر قد يحدث الشك للإنسان إذا أتت امرأته وهي بيضاء وهو أبيض بولد أسود ، فإنه لا شك سوف يحدث عنده بعض الشك ، ولكن النبي (ﷺ) طرد هذا، بأنه لعله يكون نزعه عرق من أجداده السابقين من أبيه أو أمه.

فإذا كان هكذا في مثل هذه الصورة التي قد يقوى فيها الشك ، فما سواها من باب أولى.

فالواجب على المرء الكف عن هذه الوسوس ، إلا إذا رأى أمراً لا يمكن الصبر عليه ، فعليه أن يحفظ زوجته أولاً ، ليصونها ولتصونه هي أيضاً ، فإذا لم يمكن ولم تستقم الحال ، وقويت التهم: فإن الأولى أن يطلقها ". انتهى

وفي حال حادثة الإفك : فإن الأمر مختلف ، حيث أن عائشة رضي الله عنها بعدما تأخرت خلف الجيش تبحث عن عقدها ، ثم رجعت إلى مكان الجيش فلم تجد أحداً ، فنامت ، ثم رآها صفوان بن المعطل وكان خلف الجيش ، ثم جاء بها ، فلما رآها المنافقون جاءت وحدها مع صفوان في نحر الظهيرة ، وجدوها فرصة ليؤذوا رسول الله (ﷺ) ويطعنوا في عرضه ، حتى خاض الناس في ذلك.

وكان منهم حسان بن ثابت ومسطح وهو من أهل بدر ، هذا مع شدة غيرة النبي (ﷺ) ، وتأخر نزول الوحي ، كل هذا جعل الأمر محنة وابتلاء ؛ أما أن يشك المرء في امرأته دون شيء ؛ فهذا لا يجوز قطعاً.

ثم هناك فرق عظيم بين حدوث نوع شك لأجل ما وقع ، على الخلاف السابق في ذلك ، وبين أن يتهم الرجل زوجته ؛ فإن النبي (ﷺ) لم يتهم عائشة قط بالفاحشة ، بل كان الراجح عنده براءتها مما قيل فيها.

ومن اتهم زوجته وجب عليه الإتيان بأربعة شهود ، أو الملاعنة كما هو معلوم.

ثالثاً : وأما موقف علي رضي الله عنه ، فإنه لا يشينه ، ولم يكن كرها لعائشة رضي الله عنها كما يشيع الروافض ، وإنما كانت مشورته بأمرين : إما أن يفارق زوجته ليستريح خاطره حتى نزول الوحي فيراجعها بعد ذلك ، أو يتثبت من الأمر بسؤال الجارية ، وهذا يدل على أنه لم يجزم بفراقها.

ولما سأل النبي (ﷺ) الجارية كان قولها تأكيداً على طهارة أم المؤمنين ، خرج على الناس يقولون : (مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَدَاهُ فِي أَهْلِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ)

والذي حمل علي بن أبي طالب على ذلك أنه أراد أن يريح خاطر النبي (ﷺ) ، ويزيل عنه الهم والقلق.

قال النووي في "شرح مسلم" (108/17) : " هَذَا الَّذِي قَالَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هُوَ الصَّوَابُ فِي حَقِّهِ ؛ لِأَنَّهُ رَأَاهُ مَصْلَحَةً وَنَصِيحَةً لِلنَّبِيِّ (ﷺ) فِي اعْتِقَادِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، لِأَنَّهُ

رَأَى أَنْزَلَ عَاجَ النَّبِيِّ (ﷺ) بِهَذَا الْأَمْرِ وَتَقَلُّهُ ، فَأَرَادَ رَاحَةَ خَاطِرِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَهَمَّ مِنْ غَيْرِهِ .
انتهى

خامسا : أما قول عائشة رضي الله عنها : " ولا أحمد إلا الله . "

فإن ذلك كان منها إدلالا ، كما يفعل الحبيب بحبيه ، إذا لم يجد منه ما يريد ، فإنها كانت ترجو من النبي (ﷺ) ألا يتوقف في أمرها ، بل أن يبادر بتكذيبهم ، ويعلن براءتها دون انتظار الوحي ، فلما نزل الوحي ، أفردت الله تعالى بالحمد .

قال ابن حجر في "فتح الباري" (477/8) : " وَعُدُّهَا فِي إِطْلَاقِ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ : مَنْ الَّذِي خَامَرَهَا مِنَ الْعُصَبِ ، مَنْ كُونِهِمْ لَمْ يُبَادِرُوا بِتَكْذِيبِ مَنْ قَالَ فِيهَا مَا قَالَ ، مَعَ تَحَقُّقِهِمْ حَسَنَ طَرِيقَتِهَا . "

قَالَ بَنُ الْجَوْزِيِّ : إِنَّمَا قَالَتْ ذَلِكَ إِذْ لَاحَظَتْ ، كَمَا يُدُلُّ الْحَبِيبُ عَلَى حَبِيبِهِ .

وَقِيلَ : أَشَارَتْ إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهَا : (فَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي) ؛ فَتَنَسَّبَ إِفْرَادُهُ بِالْحَمْدِ فِي الْحَالِ ؛ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَرْكُ الْحَمْدِ بَعْدَ ذَلِكَ " انتهى .

وختاما: ففي حادثة الإفك من الدروس والعبر الخير الكثير ، وصدق الله القائل في شأنها : إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ⁽¹⁾ .

قالوا بأن عائشة تبغض عليا:

-وذكروا حديث البخاري - باب مرض النبي ووفاته - : " لما ثقل رسول الله - (ﷺ) - واشتد به وجعه خرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض - بين عباس بن عبد المطلب - ورجل آخر - قال الراوي وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - هل تعرف من الرجل الذي لم تسم عائشة هو علي بن أبي طالب "

-الرد:

-إن ما ذكره أهل الفتنة والهوى حول موقف عائشة أم المؤمنين من صهرها علي ، رضي الله عنهما ، لا يصح منه شيء ، ولا يقره عاقل ، ولا سيما أن الصحيح من الأخبار يدل على عظيم التقدير والاحترام الذي كانت تكنه لعلّي وأبنائه رضي الله عنهم أجمعين .

-كما أخرج أخرج ابن أبي شيبة ، أن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، : " سأل عائشة من يبايع ؟ فقالت له : إلزم علياً "

فهل يعقل بعد هذا أن تخرج عليه وتحاربه ؟! ثم تعمد إلى إنكار فضله وفضائله كما زعم المغرضون ؟!

-وقد روت السيدة عائشة مناقب أهل البيت التي تعتبر شامة في مناقب الإمام علي ، رضي الله عنه .

-من ذلك ما أخرجه مسلم ، عن عائشة ، رضي الله عنها قالت : "خرج النبي (ﷺ) غداة وعليه مرطٌ مرحلٌ من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليٌّ فأدخله ، ثم قال : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } . [12]

-قلت : والذي أدين الله به أنه لا يصح حديث الكساء إلا من طريق عائشة - رضي الله عنها - فقط ، فكيف يدعي من كان له أدنى ذرة عقل أو دين أن يتهمها بنصب العداء لعلي رضي الله عنه .

-ولما بويع عليّ ، رضي الله عنه خليفة للمسلمين ، لم يتغير موقفها منه ولا حملت في قلبها عليه ، وهي التي كانت تدعو إلى بيعته وكانت تعرف مكانته العلمية والفقهية ، لذلك عندما سأله شريح بن هانئ عن المسح على الخفين ، قالت له : عليك بآبٍ طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله (ﷺ) .

-ذكر الحافظ (ابن حجر) في فتح الباري قول المهلب : إن أحدا لم ينقل إن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة

-وزعموا ان السيدة عائشة قاتلت عليا والله يقول { وقرن في بيوتكن }:

-الرد : أولاً : إن الكلام عما شجر بين الصحابة ليس هو الأصل ، بل الأصل الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة هو الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة ، وهذا من قول النبي - (ﷺ) - : " وإذا أصحابي فأمسكوا . "

-ثانيا : إذا دعت الحاجة إلى ذكر ما شجر بينهم ، فلا بد من التحقيق والتثبت في الروايات المذكورة حول الفتن بين الصحابة ، قال عز وجل : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين } . وهذه الآية تأمر المؤمنين بالتثبت في الأخبار المنقولة إليهم عن طريق الفساق ، لكيلا يحكموا بموجبها على الناس فيندموا .

-فوجب التثبت والتحقيق فيما نقل عن الصحابة ، وهم سادة المؤمنين أولى وأحرى ، خصوصا ونحن نعلم أن هذه الروايات دخلها الكذب والتحريف ، أما من جهة اصل الرواية أو تحريف بالزيادة والنقص يخرج الرواية مخرج الذم واللعن .

-وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب ، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب ، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وأمثالهما . (منهاج السنة 5 / 72 ، وانظر دراسة نقدية " مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري / عصر الراشدين ، ليحيى اليحيى) .

-ثالثاً : قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " أما أهل السنة فإنهم في هذا الباب وغيره قائمون بالقسط شهداء لله ، وقولهم عدل لا يتناقض ، وأما الرافضة وغيرهم من أهل البدع ففي أقوالهم من الباطل والتناقض ما ننبه إن شاء الله تعالى على بعضه ، وذلك أن أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة ، وكذلك أمهات المؤمنين : عائشة وغيرها ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء . "

-رابعاً : أهل السنة يقولون : إن أهل الجنة ليس من شرطه سلامتهم عن الخطأ ، بل ولا عن الذنب ، بل يجوز أن يذهب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه ، وهذا متفق عليه بين المسلمين ، ولو لم يتب منه فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر عند جماهيرهم ، بل وعند الأكثرين منهم أن الكبائر قد تُمحي بالحسنات التي أعظم منها وبالمصائب المكفّرة.

-فأهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن الصحابي معصوم من كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون إما قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بسابقته ، أو بشفاعته محمد (ﷺ) ، وهم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة ، فكيف بالأمور التي هم مجتهدون فيها : إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد ، والخطأ مغفور.

-ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نادر ، مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح.

-يقول الذهبي رحمه الله : " فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفّرة لما وقع بينهم ، وجهاد محآء ، وعبادة ممحصّة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ، ولا ندعي فيهم العصمة " (1).

-خامساً : من أجل ذلك لا يجوز أن يدفع النقل المتواتر في محاسن الصحابة وفضائلهم بنقول بعضها منقطع وبعضها محرف ، وبعضها يقدر فيما علم ، فإن اليقين لا يزول بالشك ، ونحن تيقناً ما ثبت في فضائلهم ، فلا يقدر في هذا أمور مشكوك فيها ، فكيف إذا علم بطلانها(2) .

-قال ابن دقيق العيد : " وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه ، فمنه ما هو باطل وكذب ، فلا يلتفت إليه ، وما كان صحيحاً أولناه تأويلاً حسناً ، لأن الثناء عليهم من الله سابق ، وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل ، والمشكوك والموهوم لا يبطل الملحق المعلوم."

-سادساً : فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على نصب إمام غير علي ، ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي ، ولا قال ذلك طلحة والزبير ، وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء ، بسبب اجتهدهم في كيفية القصاص من قاتلي عثمان رضي الله عنه ، وهو من باب قتال أهل البغي والعدل ، وهو قتال بتأويل سائغ لطاعة غير الإمام ، لا على قاعدة دينية ، أي ليس بسبب خلاف في أصول الدين.

-ويقول عمر بن شبه : " إن أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ، ولا دعوا أحداً ليولوه الخلافة ، وإنما أنكروا على علي منعه من قتال قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم " (3) .

-ويؤيد هذا ما ذكره الذهبي : " أن أبا مسلم الخولاني وأناساً معه ، جاءوا إلى معاوية ، وقالوا : أنت تنازع علياً أم أنت مثله ؟ . فقال : لا والله ، إني لأعلم أنه أفضل مني ، وأحق بالأمر مني ،

(2) (سير أعلام النبلاء 10 / 93 ، في ترجمة الشافعي)

(3) (منهاج السنة 6 / 305)

(4) (أخبار البصرة لعمر بن شبه نقلًا عن فتح الباري 13 / 56)

ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما ، وأنا ابن عمته ، والطالب بدمه ، فائتوه فقولوا له ، فليدفع إلي قتلة عثمان ، وأسلم له . فأتوا عليا ، فكلموه ، فلم يدفعهم إليه " (1) .

-وأيضا فجمهور الصحابة وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة.

-قال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده إلى : " محمد بن سيرين ، قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله (ﷺ) عشرة آلاف ، فما حضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين . "

-قال ابن تيمية : " وهذا الإسناد من اصح إسناده على وجه الأرض ، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقته ، ومراسيله من أصح المراسيل " (2) .

-سابعا : ما ينبغي أن يعلمه المسلم حول الفتن التي وقعت بين الصحابة - مع اجتهداهم فيها وتأولهم - حزنهم الشديد وندمهم لما جرى ، بل لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى ما وصل إليه ، وتأثر بعضهم التأثر البالغ حين يبلغه مقتل أخيه ، بل إن البعض لم يتصور أن الأمر سيصل إلى القتال ، وإليك بعض من هذه النصوص:

-وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، يقول عنه الشعبي : " لما قتل طلحة وراة علي مقتولا ، جعل يمسح التراب عن وجهه ، ويقول : عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء " .. ثم قال : " إلى الله أشكو عجزى وبجري . - أي همومي وأحزاني - وبكى عليه هو وأصحابه ، وقال : ياليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . "

-وكان يقول ليالي صفين : " لله در مقام عبد الله بن عمر وسعد بن مالك - وهما ممن اعتزل الفتنة - إن كان برا إن أجره لعظيم ، وإن كان إثما إن خطره ليسير " (3) . فهذا قول أمير المؤمنين ، رغم قول أهل السنة أن عليا ومن معه أقرب إلى الحق.

-وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه - وهو ممن شارك في القتال بجانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - يقول : " إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها ، فقال مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟! قال : " ويحك ، إنا نبصر ولا نبصر ، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه ، غير هذا الأمر ، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر " (4) .

-هذه عائشة أم المؤمنين ، تقول فيما يروي الزهري عنها : " إنما أريد أن يحجر بين الناس مكاني ، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدا " (5) .

-ثامنا : كيف يلام الصحابة بأمور كانت متشابهة عليهم ، فاجتهدوا ، فأصاب بعضهم وأخطأ الآخرون ، وجميعهم بين أجر وأجرين ثم بعد ذلك ندموا على ما حصل وجرى وما حصل بينهم من جنس المصائب التي يكفر الله عز وجل بها ذنوبهم ، ويرفع بها درجاتهم ومنازلهم.

-قال (ﷺ) : " لا يزال البلاء بالعبد ، حتى يسير في الأرض وليس عليه خطيئة . "

(2) (سير أعلام النبلاء للذهبي 3 / 140 ، بسند رجاله ثقات كما قال الأرناؤوط)

(3) (منهاج السنة 6 / 236)

(4) (منهاج السنة 6 / 209)

(5) (فتح الباري 12 / 67)

(1) (مغازي الزهري)

-وعلى أقل الأحوال ، لو كان ما حصل من بعضهم في ذلك ذنباً محققاً ، فإن الله عز وجل يكفره بأسباب كثيرة ، من أعظمها الحسنات الماضية من سوابقهم ومناقبهم وجهادهم ، والمصائب المكفرة ، والاستغفار ، والتوبة التي يبذل بها الله عز وجل السيئات حسناً ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . (للتوسع راجع منهاج السنة 6 / 205 فقد ذكر عشر أسباب مكفرة)

-تاسعاً : فالمرء لا يعاب بزلة يسيرة حصلت منه في من فترات حياته وتاب منها ، فالعبرة بكمال النهاية ، لا ينقص البداية ، سيما وإن كانت له حسنات ومناقب ولو لم يتركه أحد ، فكيف إذا زكاه خالقه العليم بذات الصدور { ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم }

-عاشرأً : علي - رضي الله عنه - لم يكفر الذين قاتلوه ، وهذا ثابت في كتب السنة وكتب الرافضة ، فأما عند السنة فقد قال شيخ الإسلام إن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر النبي (ﷺ)، ولدفع شرهم عن المسلمين ، إلا أنهم لم يكفروهم ، بل حرم علي بن أبي طالب أموالهم وسبيهم ، وبرهن شيخ الإسلام على أن علي بن أبي طالب لم يكفر الخوارج بالصريح من أقواله ، فذكر طارق بن شهاب قال : " كنت مع علي حين فرغ من قتال أهل النهروان ، فقيل له : أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا . قيل : فمناقفون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً . قيل فما هم ؟ قال : قوم بغوا علينا فقاتلناهم.(1)

-وأما في كتب الرافضة فهو ثابت أيضاً وهو كما يلي:

-بحار الأنوار المجلسي ج 23 ص 324 عن ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عليه السلام : " كان يقول لأهل حربه أنا لم نقاتلهم على التكفير لهم و لم نقاتلهم على التكفير لنا و لكننا رأينا أنا على حق و رأوا أنهم على حق. "

-و سائل الشيعة ج 15 ص 83 عن جعفر ابن محمد عن أبيه عن علي عليه السلام انه قال: "القتل قتلان قتل كفارة و قتل درجة و القتال قتالان قتال الفئة الباغية حتى يفيؤا و قتال الفئة الكافرة حتى يسلموا. "

-وجاء في " جواهر الكلام الشيخ الجواهري " ج 12 ص 338 عن جعفر عن أبيه عليه السلام: " أن عليا عليه السلام لم يكن ينسب أحداً من أهل البغي إلى الشرك و لا إلى النفاق و لكن كان يقول إخواننا بغوا علينا. "

-الحادي عشر : حديث النبي وقوله لعائشة : " تقاتلين علياً وأنت ظالمة له " قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فهذا لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ، ولا له إسناد معروف ، وهو بالموضوعات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة ، بل هو كذب قطعاً ، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت لقصد الإصلاح ، وظننت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى ، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها. "

(1) (رواه ابن أبي شيبه في المصنف 37942)

-الثاني عشر : وليس في ذلك مخالفة لقوله تعالى { وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى } ، فهي رضي الله عنها لم تتبرج تتبرج تبرج الجاهلية الأولى.

-والمراد بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها ، كما لو خرجت للعمرة أو للحج.

-فخروج المرأة إن كان لمصلحة شرعية فهو جائز ، بل حتى يجوز للمرأة المتوفي عنها زوجها أن تخرج أثناء عدتها لمصلحة شرعية راجحة.

-فقد صح عن رسول الله (ﷺ) - من حديث جابر بن عبد الله قال : " طَلَّقَتْ خَالَتُهُ فَأَرَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى نَخْلٍ لَهَا فَلَقِيتُ رَجُلًا فَتَهَاها فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ : "أَخْرِجِي فُجْدِي نَحْلَكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَصْدَقِي وَتَفْعَلِي مَعْرُوفًا"(1).

يقول المغرضون : إن عائشة أذاعت سر رسول الله (ﷺ) - ، قال تعالى { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ {3} }

-الرد:

-أولاً : قد ثبت في الصحيح أن المقصود في هذه الآية هما عائشة وحفصة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

-ففي صحيح البخاري : " عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله (ﷺ) يشرب عسلا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فواطيت أنا وحفصة على: أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير، قال: (لا، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدا) " .

-وفي رواية : " (بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ول أعود له) فنزلت: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك - إلى - إن تتوبا إلى الله} لعائشة وحفصة: إذ أسر النبي. "

-ثانياً : أهل السنة والجماعة لا يحاولون طمس الحقيقة بل هذه الحادثة مدون في أصح كتاب بعد كتاب الله في صحيح البخاري ، والحديث هو تحريم رسول الله لجاريته مارية القبطية على نفسه ، أو امتناعه عن أكل العسل عند زوجته زينب بنت جحش رضي الله عنها.

-ثالثاً : أما قولهم قوله تعالى { فقد صغت قلوبكما } يدل على كفر عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - ، لأن قراءتهم " فقد زاغت قلوبكما " كما ذكرها النوري الطبرسي في فصل الخطاب ص 313 والبياض في الصراط المستقيم 168/3 ، وقالوا الزيف هو الكفر.

-وهذه الدعوى باطلة أيضاً لأن الزيف الميل ، وهذا الميل متعلق بالغيره لا غير ، والزيف والميل في هذه المسألة والغيرة بين الضرائر ليست زيفاً عن الإسلام إلى الكفر ، فالغيرة من جبلة النساء ولا مؤاخذه على الأمور الجبلية.

(1) (النسائي 210/6) وقال الألباني صحيح

-وعائشة وحفصة رضي الله عنهما قد مال قلبيهما إلى محبة اجتناب رسول الله - (ﷺ) - جاريته ، وتحريمهما على نفسه أو مالت قلوبهما إلى تحريم الرسول - (ﷺ) - لما كان مباحاً له كالعسل مثلاً.

-رابعاً :الغيرة بين أزواج النبي حاصلة في حياة النبي - (ﷺ) - وكان يرى ذلك ويتسم ويفرهن على هذا ، لأن هذا من طبائع النساء ،ولم يغضب رسول الله - (ﷺ) - يغضب من غيرتهن ، كما في البخاري من حديث عن أنس قال: " كان النبي (ﷺ) عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت النبي (ﷺ) في بيته يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي (ﷺ) فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: (غارت أمكم) ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت. "

-خامساً : الله عز وجل دعاهما إلى التوبة بقوله { إن تتوبا إلى الله } ، فهما قد تابنا ورجعا إلى الله عز وجل ، وهذا عتاب من الله لهما كما عاتب الله نبيه وحبيبه وصفيه محمداً - (ﷺ) - { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك } هل يقول قائل نأخذ بمفهوم المخالفة لمن فطرته منكوسة وأفهامه معكوسة ويقول بأن النبي - (ﷺ) - لم يبتغي مرضات الله ، وإنما الله يربي نبيه ويربي أزواجه ويؤدبهم ويصطفاهم حتى يعلي قدرهم بين العالمين.

-وهذا نظير قوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَفَدَّ كِدْتُمْ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذْفَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) ونظير قوله تعالى { يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين } هل يقول عاقل بأن الرسول ليس من المتقين أو أنه كان يطيع الكافرين والمنافقين.

-وكقوله تعالى لنوح { إني أعظك أن تكون من الجاهلين } فهل كان نوح من الجاهلين.

-سادساً : عائشة وحفصة رضي الله عنهما ، لو كان منهما ما يوجب الكفر لطلقهما النبي - (ﷺ) - فلا يجوز للمسلم فضلاً عن النبي - (ﷺ) - أن يمسك الكوافر ،قال تعالى { ولا تمسكوا بعصم الكوافر } وأن يجعل في ذمته الكافرات المشركات لقوله تعالى { لا هن لهن حل لهن ولا هم يحلون لهن }.

-وهذا عند السنة والرافضة قال القمي في تفسيره (سورة الممتحنة) عند قوله تعالى { ولا تمسكوا بعصم الكوافر } : " عن أبي جعفر قال : من كانت عنده امرأة كافرة ، يعني على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام ، فليعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهي امرأته ، وإلا فهي بريئة منه ، فنهى الله أن يمسك بعصمتها. (2/344) . "

-فكيف يسمحون لأنفسهم بأن يقولوا أن الرسول - (ﷺ) - خالف قوله تعالى في هذه الآية ، سبحانه ربي هذا بهتان عظيم.

-سابعاً : عائشة وحفصة مع النبي (ﷺ) في الجنة ، فقد أخرج الترمذي وحسنه وصححه الألباني (242/3) أن جبريل قال للنبي - (ﷺ) - : " إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة " وكان عمار بن ياسر - رضي الله عنه - يحلف ويقسم بالله : " أن عائشة - رضي الله عنها - زوجة رسول الله في الدنيا والآخرة " (البخاري 7100).

-أن الله تعالى أخبر عباده أن ثوابهن على الطاعة والعمل الصالح ضعف أجر غيرهن ، قال تعالى { وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً }.

-ففي هذه الآية أن التي تطيع الله ورسوله منهن وتعمل صالحاً فإن الله يعطيها ضعف ثواب غيرها من سائر نساء المسلمين ، وأعد الله لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنان.

-قال الحافظ ابن كثير : " { نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً } أي : في الجنة فإنهن في منازل رسول الله - (ﷺ) - في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش. "

-ثامناً : أهل البدع والزندقة يعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوب ومعاصي بينة لمن نصت عنه من المتقدمين يتأولون النصوص بأنواع التأويلات ، وأهل السنة يقولون : بل أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاتهم بالتوبة.

-بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة ، فيكونان قد تابتا منه ، وهذا ظاهر لقوله تعالى { إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما } فدعاهما الله تعالى إلى التوبة ، فلا يظن بهما أنهما لم تتوبا ، مع ما ثبت من علو درجاتهما ، وأنهما زوجتا نبيه في الدنيا والآخرة.

-تاسعاً : أنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة إثارةً منهن لذلك على الدنيا وزينتها فأعد الله لهن على ذلك ثواباً جزيلاً وأجرأ عظيماً قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحاً جَمِيلاً (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً }.

-ففي البخاري بإسناده إلى عائشة - رضي الله عنها - قالت : " لما أمر رسول الله بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : " إني ذاكر لك أمراً ، ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك. قالت : قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك ، ثم قال : " إن الله قال : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحاً جَمِيلاً (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً } قلت : أفي هذا أستأمر أبوي ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم خير نساءه ، فقلن مثل ما قالت عائشة " (البخاري 2336).

-فإن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة . لذلك مات عنهن النبي وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن ، والذنوب يغفر ويعفي عنه بالتوبة وبالحسنات الماحيات وبالمصائب المكفرة.

-عاشراً : أما ادعاؤهم بأن عائشة وحفصة قد سقتا السم لرسول الله - (ﷺ) - فإت الرد على مثل هذه الترهات عبث وإضاعة للأوقات ، ومع ذلك نقول هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، ونطالبهم بإسناد صحيح إلى رسول الله - (ﷺ) - بأن عائشة وحفصة قتلتا رسول الله (ﷺ).

-والغريب أن المجلسي يقول بأن سند هذه الرواية معتبرة (حياة القلوب للمجلسي 700/2) والصرط المستقيم (168/3) والأنوار النعمانية. (337-336/4)

-الحادي عشر : نقول أخيراً أن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن الصحابي معصوم من كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب

مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون إما قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بسابقته ، أو بشفاعته محمد (ﷺ) ، وهم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة ، فكيف بالأمور التي هم مجتهدون فيها : إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد ، والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نادر ، مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح.

-يقول الذهبي رحمه الله : " فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم ، وجهاد محاء ، وعبادة ممحصة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة " . (سير أعلام النبلاء 10 / 93 ، في ترجمة الشافعي).

•موقف عائشة من مقتل عثمان وأنها تقول اقتلوا نعثلاً فقد كفر:

-أولاً : الحق أن عائشة أم المؤمنين كانت تكن للخليفة عثمان كل احترام وتقدير ، وهي تدرك عظيم منزلته في قلب رسول الله (ﷺ).

-وقد روت عن النبي (ﷺ) – فضائل ثابتة عن عثمان – رضي الله عنه – ومنها قوله (ﷺ) لعائشة : " ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة " (1).

-وأما ما رواه ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي ، من أنها كانت تنادي بقتله وتسميه نعثلاً ، فهذا لا أساس له من الصحة ، وهو من فريات السبئية لعنهم الله ، ليوغروا عليه صدور المسلمين ، وليظفروا بمبتغاهم في الطعن على الصحابة ، رضوان الله عليهم..

-كما أن الرواية التي نحن بصددھا ((اقتلوا نعثلاً فقد كفر)) ، فقد جاءت من طريق سيف بن عمر ، قال يحيى بن معين : وابن أبي حاتم : ضعيف الحديث ، وقال النسائي : كذاب ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات ، قال وقالوا : إنه كان يضع الحديث ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال ابن أبي حاتم : مرّة : متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدي ، وقال أبوداود : ليس بشيء وقال ابن عدي : عامّة حديثه منكر

قالوا بأن الفتنة من بيت عائشة: قام النبي (ﷺ) خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال : ((ههنا الفتنة ، ههنا الفتنة ، ههنا الفتنة ، من حيث يطلع قرن الشيطان)).

-الرد :- أولاً : وهذا الحديث لا غبار عليه ، وورد في كتاب الوصايا وفرض الخمس من صحيح البخاري ، وليس في هذا الحديث ما يدين عائشة رضي الله عنها.

-ثانياً :مقصود الحديث أن منشأ الفتن من جهة المشرق وكذا وقع كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (المعتزلة – القدرية – الخوارج – الرفض والتشيع – الجهمية – وغيرهم كثير).

-والذي يتسنى له زيارة مسجد النبي (ﷺ) يلاحظ أن حجرة عائشة رضي الله عنها ، حيث دفن النبي (ﷺ) تقع شرقي المنبر ، لا تفصله عنها سوى الروضة الشريفة.

-ثالثاً : ويبدو واضحاً من خلال أطراف الحديث ، أن النبي (ﷺ) إنما أراد أهل المشرق ، ولم يقصد عائشة رضي الله عنها بسوء ومن جمع طرق الحديث تبين له ذلك جيداً. والحديث رواه

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأطرافه في فرض الخمس رقمه في فتح الباري (2873) والجمعة (979) والمناقب (3249) والطلاق (4885) والفتن (6563) و (6564) و (6565) [7] .

- رابعاً : أما قولهم أشار إلى بيت عائشة فهذا كذب وزور وبهتان ، فلم يرد في طرق الحديث أشار إلى بيت عائشة وإنما نحو بيت عائشة ، وجاء في رواية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " رأيت رسول الله (ﷺ) يشير إلى المشرق فقال : ((إن الفتنة هاهنا ، إن الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان)) أو قال ((قرن الشمس)) . [8]

- وفي رواية أخرى قال : ذكر النبي (ﷺ) : ((اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا)) قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ، قال : ((اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا)) قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا ، فأظنه قال في الثالثة : ((هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)) .

- قال الخطابي : " نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية الفرق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة "

- وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال : " يا أهل العراق ! ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول : " سمعت رسول الله (ﷺ) - إن الفتنة تجيء من ههنا وأوماً بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا للشيطان " . (1)

- خامساً : هذا طعن بالنبي (ﷺ) - فبيت عائشة هو بيت النبي (ﷺ) - وبه دفن .

- اختيار النبي (ﷺ) - أن يمرض في بيتها ، وكانت وفاته بين سحرها ونحرها ، وفي يومها وفي بيتها ، واجتمع ريق رسول الله (ﷺ) - بريقها في آخر أنفاسه :

- قال أبو الوفا بن عقيل رحمه الله : " انظر كيف اختار لمرضه بيت البنات ، واختار لموضعه من الصلاة الأب ، فما هذه الغفلة المستحوذة على قلوب الرافضة ، عن هذا الفضل والمنزلة التي لا تكاد تخفي عن البهيم فضلاً عن الناطق " استدراكات عائشة على الصحابة ص 30 .

- مسلم (418) من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : " أول ما اشتكى رسول الله (ﷺ) في بيت ميمونة ، وكان يقول : أين أنا غداً ؟ فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها وأذن له ، فكان في بيتي حتى مات في اليوم الذي يدور عليّ فيه "

- البخاري : عن عائشة قالت : " إن من نعم الله عليّ أن رسول الله (ﷺ) - توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وأن جمع بين ريقه عند الموت دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي (ﷺ) - وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأبده رسول الله (ﷺ) - بصره فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي (ﷺ) - فاستن به فما رأيت رسول الله (ﷺ) - استن استناناً قط أحسن منه فما عدا أن فرغ

رسول الله - (ﷺ) - رفع يده أو إصبعه ثم قال في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى وكانت تقول مات بين حاقنتي وذاقنتي. "

تروى كتب الأحاديث عن عائشة أنها كانت حائضاً، فأمرها نبيكم أن تكشف عن فخذها، ثم نام عليه وغطته بثوبها.

تقول الرواية: حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد الله يعني ابن عمر بن غانم عن عبد الرحمن يعني ابن زياد عن عمار بن غراب قال إن عمة له حدثته أنها سألت عائشة قالت: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد، قالت أخبرك بما صنع رسول الله (ﷺ) دخل فمضى إلى مسجده - قال أبو داود: (تعني مسجد بيته) فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأوجعه البرد، فقال ادنى مني، فقلت إني حائض، فقال: وإن.. اكشفي عن فخذيك، فكشفت فخذى، فوضع خده وصدره على فخذى، وحنيت عليه حتى دفئ ونام. (رواه أبو داود والبيهقي، وضعفه الألباني) كلمة ((وإن)) أي وإن كنت حائضاً.

عبد الرحمن بن زياد: وهو الأفريقي مجهول، قال البخاري في كتاب الضعفاء الصغير 307: في حديثه بعض المناكير.

وقال الترمذي: ضعيف في الحديث عند أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان وأحمد بن حنبل.

وقال البزار: له مناكير (كشف الأستار رقم 2061)

وقال النسائي: ضعيف (الضعفاء والمتروكون 337) وقال الدار قطنى في سننه (379/1): ضعيف لا يُحتج به.

وبفرض صحة الحديث، فإن هذا لا يشين النبي (ﷺ) في شيء، بل هو من كمال تواضعه (ﷺ) إذ لم يستتكف من زوجته - رضى الله عنها - وهي حائض، بعكس ما جاء في الكتاب المقدس من نجاسة المرأة أيام حيضها، ونجاسة كل ما تلمسه ويلمسها وجاء في كتابهم المقدس مايلي ،،،

خُذِي الرَّحَى واطْحَنِي دَقِيقًا. اكشفي نقابك شمري الذيل. اكشفي الساق. اعبري الأنهار. تتكشف عورتك وتُرى مَعَارِيكَ(1).

ما أجمل رجلِكِ بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فُخْذِكِ مثل الحلى صنعة يدَي صَنَاع. سُرَّتِكِ كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن. ثدياك كخشتين توأمي ظبية. عنقك كبرج من عاج... ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة بالذات. قامُتِكِ هذه شبيهة بالنخلة وثندياك بالعناقيد. قلتُ إني أصدُ إلى النخلة وأمسكُ بعذوقها. وتكون ثدياكِ كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالنفاح وحنكك كأجود الخمر. لحبيبي السائغة المرققة السائحة على شفاه النائمين أنا لحبيبي وإلّى اشتياقه. تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل وَلْنَبْتَثْ في القرى...

هنالك أعطيك حُبِّي. اللقاح يفوح رائحة وعند أباونا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبي (1)

لأنني من كوة بيتي من وراء شباكى تطلعت فرأيت بين الجهال لاحظت بين البنين غلاماً عديم الفهم عابراً في الشارع عند زاويتها وصاعداً في طريق بيتها في العشاء في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام. وإذا بامرأة استقبلته في زى زانية وخبيثة القلب. صحابة هي وجامحة. في بيتها لا تستقر قدماها. تارة في الخارج وأخرى في الشوارع. وعند كل زاوية تكمن. فأمسكته وقبّلتها (2).

في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته. إنني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته. وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرايتم من تحبه نفسي. فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أره حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي. أحفكُن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تُيقظن ولا تُنبهن الحبيب حتى يشاء (3)

كما جاء في الكتاب المقدس أيضاً – زوراً وبهتاناً – أن سيدنا داود – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – نام بجوار فتاة عذراء، جميلة، لا تحل له، ليدفأ من البرد، "فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «لِيُقَيِّتُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فَتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجِعَ فِي حُضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ»". (4)

تروى كتب الأحاديث أن الناس كانوا يبعثون إلى نبيكم بالهدايا في يوم عائشة، لعلمهم بحبه لها، فغارت بعض نسائه من ذلك، فأرسلن له أم سلمة نائبة عنهن، لتكلمه في ذلك، فقال لها: ((لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة)) وهذا يثبت أنه كان يرتدى ثوبها، ويأتيه الوحي وهو على ذلك، رغم أنكم تقولون إنه نهى عن تشبه الرجال بالنساء.

نقول ،، إن قوله (ﷺ) ((في ثوب عائشة)) لا يعنى أنه كان يأتيه الوحي وهو لابس ثوبها، كما ظن السائل بفهمه السطحي، ولكن هذا يُعتبر من التعبير المجازي، فحينما ذكر الله سبحانه وتعالى قول فرعون: {وَأَصْلَبَنُّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} (5) هل يعنى ذلك أن فرعون صلبهم داخل النخل، أم أنه صلبهم عليه؟

وحين قال سبحانه وتعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} (6) فهل معنى ذلك أن المرأة لباس لزوجها، وهو لباس لها، بهذا المعنى السطحي، أم أن معنى (اللباس) في الآية السترة والعفة، وغير ذلك مما يكون من ستر المرأة لزوجها، وستره لها؟

وهناك حديث آخر يوضح معنى هذا الحديث، وهو قول السيدة عائشة رضى الله عنها: كان الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحبائى إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة.. إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريد عائشة، فقولى لرسول الله (ﷺ)

(2) (نشيد الأنشاد: الإصحاح 7)

(3) (أمثال 7: 6-13)

(4) (نشيد الأنشاد: 3: 1-5)

(5) (1 مل 2: 1)

(6) [طه: 71]

(7) [البقرة: 187]

يأمر الناس يُهدون إليه أينما كان، فذكرت ذلك أم سلمة، فأعرض عنها، ثم عاد إليها، فأعادت الكلام، فقالت: يا رسول الله إن صواحباتي قد ذكرن أن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، فأمر الناس يُهدون أينما كنت، فلما كانت الثالثة قالت ذلك، قال: ((يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه ما أنزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيرها))⁽¹⁾ واللحاف هو الغطاء، ولا يخفي على أحد معرفته. وبهذا يتضح أن الحديث الذي ذُكر في السؤال، معناه أن الوحي لم ينزل عليه إلا في بيتها، أو وهو بجانبها، وذلك لفضلها، وفضل أبيها، رضى الله عنهما.

وقد ذكر في الكتاب المقدس قال عن المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – إنه خلع المنشفة التي كان متزراً بها، ومسح بها أرجل تلاميذه.

يقولون ،، إن نبيكم كان يستقبل ضيوفه وهو لابس ثوب عائشة.

نقول - لقد جاء في صحيح الإمام مسلم، رحمه الله: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد حدثني أبي عن جدي حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن يحيى ابن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي (ﷺ) وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله (ﷺ) وهو مضطجع على فراشه لابس مِرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقصى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال، فقصى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنت عليه، فجلس وقال لعائشة: ((اجمعي عليك ثيابك)) فقصيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله (ﷺ): ((إن عثمان رجل حيي، وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته)) لقد ظن السائل أن الرسول (ﷺ) كان لابساً مِرط عائشة – رضى الله عنها – بمعنى أنه كان لابساً ثوبها، أو بالمعنى الحالي (فستانها) فلما حضر سيدنا عثمان رضى الله عنه أعطى المِرط لعائشة، وقال لها: ((اجمعي عليك ثيابك)) أي أنها كانت بغير ثياب حين دخل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر – رضى الله عنهما – ولما دخل سيدنا عثمان خلع المِرط (أي تعزى) ثم أعطاه إياها لترتيبه. إن ركاكة هذا الفهم السقيم لا يليق بالأطفال، فضلاً عن الكبار، وقد ورد هذا الحديث في صحيح مسلم أيضاً بطريقة أخرى وهي أن السيدة عائشة (رضى الله عنها) قالت: كان رسول الله مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تُبالِه، ثم دخل عمر فلم تهتش له، ولم تُبالِه، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟)) إن المِرط ليس فستاناً ولا ثوباً، المِرط هو كساء من صوف أو خَز أو كِتَان، يضعه الرجل عليه كما تضعه المرأة، يلتحف به الرجل والمرأة على السواء، كما ورد في سنن الترمذى – رحمه الله – عن السيدة عائشة قالت: (خرج النبي (ﷺ) ذات غداة، وعليه مِرط من شعر أسود) [قال الترمذى: حديث حسن غريب صحيح] والعرب تقول: (لابس) لمن وضع الشيء عليه، أو جلس عليه، كما ورد في الحديث: (جالس على حصير بلَى من طول ما لُيس) أي أن الحصار تلف من كثرة جلوسه عليه. فمعنى كلمة (لبس) أعم في لغة العرب من معناها في اللهجات العامية، فهي تشمل في اللغة العربية وضع الرداء أو اللحاف على الجسد، وتشمل الجلوس على الحصار، أو أي سجاد، وهو ما فعله النبي (ﷺ) من أنه كان ملتحفاً بالمِرط (أي بالكساء) والقصة واضحة، لا إشكال فيها، إذ كانت

(1) [صحيح البخارى]

السيدة عائشة في ناحية البيت، مرتدية حجابها، والنبي (ﷺ) مضطجع وعليه لحافها، فدخل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر - رضى الله عنهما - والنبي (ﷺ) على هذا الحال، والسيدة عائشة على حجابها، ثم لما دخل سيدنا عثمان رضى الله عنه وهو شديد الحياء، خشى الرسول (ﷺ) أن يراه مضطجعاً ملتجئاً، فيمتنع من قول حاجته، كمن يدخل على رجل نائم على سريره، ومغطى بغطائه، فيتخرج من ذلك، ويشعر أنه قد أقلق صاحب البيت، فيعتذر ولا يذكر حاجته، فأراد النبي (ﷺ) أن يُظهر له أنه في وضع استعداد لمقابلة الضيوف، وأنه ليس نائماً، وأمر زوجته ألا تكتفي بالحجاب، ولكن تجمع عليها ثيابها أكثر، حتى تبدو هي أيضاً في حال استقبال، كمن تسوى ثيابها إذا دخل ضيف، حتى لا تبدو غير مُهَنّمة.

أما ما جاء في الرواية الأخرى، من أنه كان كاشفاً فخذه، فإن النبي (ﷺ) بشر كسائر البشر، ومن طبيعة البشر أنهم يُسقطون بعض الكلفة أمام خاصتهم، بما لا يفعلونه أمام غيرهم، والنبي (ﷺ) كان يرى في سيدنا عثمان حياءً شديداً، فهو يستحي أن يراه في مثل هذا الحال، فخاف النبي (ﷺ) أن تمنعه رؤيته على هذا الحال أن يذكر حاجته، فجلس وتهيأ له بما يناسب طبيعته (ﷺ) ثم قال: ((إن هذا الرجل تستحي منه الملائكة)) وكان النبي (ﷺ) يقول: إننى أُقدّر شدة حيائه، وأستحي منه كما تستحي منه الملائكة، والله أعلم.

ثالثاً: السيدة سودة بنت زمعه رضى الله عنها ومقتطفات من حياتها وما اثير حولها من شبهات

هي سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية أم المؤمنين (ت 54هـ = 674م)، وهي أول امرأة تزوجها النبي (ﷺ) بعد خديجة رضى الله عنها، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو النجارية.

أسلمت قديماً وبايعت، وكانت عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، وأسلم أيضاً، وهاجروا جميعاً إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فلما قَدِمَا مكة مات زوجها، وقيل: مات بالحبشة، فلما حلت خطبها رسول الله (ﷺ) وتزوجها.

قالت خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون: (أي رسول الله، ألا تزوج؟ قال: "مَنْ؟" قلت: إن شئت بكرة وإن شئت ثيباً. قال: "فَمَنْ الْبُكَرُ؟" قلت: ابنة أحب خلق الله إليك: عائشة بنت أبي بكر. قال: "وَمَنْ الثَّيْبُ؟" قلت: سودة بنت زمعة بن قيس، آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه. قال: "فَادْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ". فجاءت فدخلت بيت أبي بكر... ثم خرجت فدخلت على سودة، فقلت: يا سودة، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة!

قالت: وما ذاك؟

قلت: أرسلني رسول الله (ﷺ) أخطبك عليه.

قالت: وَدِدْتُ، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له.

قلت: وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه، فقلت: إنَّ محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة.

قال: كفء كريم، فماذا تقول صاحبتك؟

قالت: تحبُّ ذلك.

قال: ادعيها. فدعتها، فقال: إنَّ محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أفتحبين أن أزوجه؟

قالت: نعم.

قال: فادعيه لي. فدعته، فجاء فزوجه إِيَّاه.

والى حضراتكم بعضاً من ملامح شخصية السيدة سودة

اولاً ،، حبها للصدقة: عن عائشة رضى الله عنها قالت: اجتمع أزواج النبي (ﷺ) ذات يوم فقلنا: يا رسول الله، أيُّنا أسرع لحاقاً بك؟

قال: "أَطْوَلُكُنَّ يَدًا". فأخذنا قصبَةً نذرناها، فكانت سودة بنت زمعة بنت قيس أطولنا ذراعاً. قالت: وتوفي رسول الله (ﷺ) فكانت سودة أسرعنا به لحاقاً، فعرفنا بعد ذلك أنما كان طول يدها الصدقة، وكانت امرأة تحب الصدقة.

ثانياً ،، فطنتها :أثرت بيومها حب رسول الله تَقَرُّباً إلى رسول الله، وحباً له، وإيثاراً لمقامها معه، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك، مؤثرة -رضي الله عنها- لرضا رسول الله (ﷺ)؛ فعن عائشة أن سودة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبتغي بذلك رضا رسول الله (ﷺ).

وعن النعمان بن ثابت التيمي قال: قال رسول الله (ﷺ) لسودة بنت زمعة: "اعْتَدِي". فقعدت له على طريقه ليلة، فقالت: يا رسول الله، ما بي حب الرجال ولكني أحب أن أبعث في أزواجك، فأرجعني. قال: فرجعها رسول الله (ﷺ).

من مواقف السيدة سودة مع الرسول

عن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: قُدم بأسارى بدر وسودة بنت زمعة زوج النبي (ﷺ) عند آل عفراء في مَنَاجِهِمْ على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يُضرب عليهم الحجاب، قالت: قُدم بالأسارى فأتيت منزلي، فإذا أنا بسهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه، فلما رأيته ما ملكت نفسي أن قلت: أبا يزيد، أعطيتكم ما بأيديكم! ألا مُتُّم كِرَاماً! قالت: فوالله ما نبهني إلا قول رسول الله (ﷺ) من داخل البيت: "أَيُّ سَوْدَةٍ، أَعْلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ؟" قلت: يا رسول الله، والله ما ملكت نفسي حيث رأيت أبا يزيد أن قلت ما قلت.

وعن ابن عباس قال: ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: يا رسول الله، ماتت فلانة. يعني الشاة، فقال: "فَلَوْلَا أَخَذْتُمْ مَسْكَهَا". فقالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت. فقال لها رسول الله (ﷺ): "إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ} (1) ، فَإِنَّكُمْ لَا تَطْعَمُونَهُ إِنْ تَذَبُّعُوهُ فَتَنْتَفِعُوا بِهِ". فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا فَسَلَخْتُ مَسْكَهَا فِدْبَعْتَهُ، فَاتَّخَذْتُ مِنْهُ قَرَبَةً حَتَّى تَحْرَقَتْ عِنْدَهَا.

وعن عائشة قالت: استأذنت سودة بنت زمعة رسول الله (ﷺ) أن يأذن لها فتدفع قبل أن يدفع، فأذن لها -وقال القاسم: وكانت امرأة ثبطة؛ أي ثقيلة- فدفعت وحُبسنا معه حتى دُفِعْنَا بدفعه. قالت عائشة: فلأن أكون استأذنت رسول الله كما استأذنت سودة فأدفع قبل الناس، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ.

مواقف السيدة سودة مع الصحابة

موقفها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه: روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجت سودة بعدما ضُرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفي على من يعرفها، فرأها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله (ﷺ) في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا. قالت: فأوحى الله إليه ثم رُفِعَ عنه وإنَّ العرق في يده ما وضعه، فقال: "إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ".

موقفها مع السيدة عائشة رضي الله عنها: قالت عائشة رضي الله عنها: دخلت على سودة بنت زمعة فجلست ورسول الله بيني وبينها وقد صنعت حريرة، فجنُتُ بها فقلت: كُلي. فقالت: ما أنا بذائفتها. فقلت: والله لتأكلين منها أو لألطحنَّ منها بوجهك. فقالت: ما أنا بذائفتها. فتناولت منها شيئاً فمسحت بوجهها، فجعل رسول الله يضحك وهو بيني وبينها، فتناولت منها شيئاً لتمسح به

(1) [الأنعام: 145]

وجهي، فجعل رسول الله يخفض عنها رُكبتها وهو يضحك لتستقيد مني، فأخذت شيئاً فمسحت به وجهي ورسول الله يضحك.

موقفها مع السيدة عائشة والسيدة حفصة: عن خُلَيْسَةَ مَوْلَاةِ حَفْصَةَ فِي قِصَّةِ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ مَعَ سُودَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، وَمَزَحَهُمَا مَعَهَا بِأَنَّ الدِّجَالَ قَدْ خَرَجَ، فَاخْتَبَأَتْ فِي بَيْتٍ كَانُوا يُوقِدُونَ فِيهِ وَاسْتَضَحَّكَتَا، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: "مَا شَأْنُكُمَا؟" فَأُخْبِرَتَاهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ سُودَةَ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرَجَ الدِّجَالُ؟ فَقَالَ: "لَا، وَكَأَنَّ قَدْ خَرَجَ". فَخَرَجَتْ وَجَعَلَتْ تَنْفُضُ عَنْهَا بَيْضَ الْعَنْكَبُوتِ.

بعض ما روته السيدة سودة عن النبي (ﷺ)

روى البخاري بسنده عن سودة أنها قالت: "ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صار شئناً."

وعنها رضي الله عنها قالت: جاء رجلٌ إلى النبي (ﷺ) فقال: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْجَ . قَالَ: "أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ عَنْهُ، قُبِلَ مِنْهُ؟" قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَاللَّهُ أَرْحَمُ، حُجَّ عَنْ أَبِيكَ."

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): "يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاءَ عُرُلًا، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَبَلَغَ شُحُومُ الْأَذَانِ". فَقُلْتُ: يَبْصُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟ فَقَالَ: "شُغِلَ النَّاسُ بِالْكَلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" (1).

وعنها رضي الله عنها: أنها نظرت في رَكْوَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَهَا هِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ."

أثر السيدة سودة في الآخرين: مَمَّنْ رَوَى عَنْهَا مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ (ﷺ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَبَنُو الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمَمَّنْ رَوَى عَنْهَا مِنَ التَّابِعِينَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَيُوسُفُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمَوْلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ.

وفاة السيدة سودة رضي الله عنها

توفيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال: ماتت رضي الله عنها سنة 54هـ.

الشبهة المثارة عن السيدة سودة: هل من الرحمة أن يطلق نبيكم (سودة بنت زمعة) بعدما كبرت بها السن؟

إن الرسول (ﷺ) لم يطلقها، ولم يصرح لها برغبته في ذلك، ولكنها شعرت بما يدور في خَلْدِهِ، لأنه كان قد كبر في السن، ويحتاج من زوجته أن تخدمه، وتقوم على شئونهِ، والسيدة سودة – رضى الله عنها – كانت أَسَنَ مِنْهُ، وكانت امرأة عجوزاً لا تستطيع القيام بخدمته، فلو ترك ليلتها لظَلَمَها، فماذا يفعل؟

(1) [عبس: 37]

لقد كان الحل في هذه المشكلة باقتراح حكيم منها، إذ عرضت عليه أن يجعل ليلتها للسيدة عائشة - رضي الله عنها - لعلها بحبه لها، فوافق (ﷺ) على ذلك، ولم يطلقها، والله أعلم.

ويكفيها رضي الله عنها انها بذلك فرجت على كثير من البيوت المسلمة والتي قد تمر بمثل هذه الظروف فقد انزل الله تعالى قرانا لحل مثل هذه المواقف

السؤال : ذكر أن النبي صلى الله عليه عرض على "سودة بنت زمعة" الطلاق عندما كبرت في العمر ، ولكنها رفضت ، ومن ثم أعطت يومها لعائشة رضي الله عنها . يبدو لي أن هذا الفعل على إطلاقه هكذا لا يمكن أن يكون صدر من النبي (ﷺ) ؛ إذ أنه لا بد من أن يكون هناك خلفية لهذه القصة ، وهو الأمر الذي أريد أن تشرحوه لي.

الجواب : الحمد لله: ثبت في الصحيحين أن أم المؤمنين "سودة بنت زمعة" رضي الله عنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله ، وهذا المقدار لا شك فيه من حيث الثبوت ، ولكن ما هو سبب هذا الفعل من أم المؤمنين سودة رضي الله ؟ جاء ذلك على وجوه متعددة:

(1) قيل : إن ذلك كان بعد تطليق النبي (ﷺ) لها.

(2) وقيل : إنه (ﷺ) هم بتطليقها.

(3) وقيل : إنها ظنّت أنه سيطلقها ، ولذا تنازلت عن ليلتها لعائشة ؛ لتبقى في عصمته (ﷺ) في الدنيا ، وتكون زوجة له في الآخرة ، فقبل منها ذلك (ﷺ).

(4) وقيل : إنها أرادت بتلك الهبة رضا رسول الله (ﷺ) ؛ حيث كانت تعلم محبته لعائشة رضي الله عنها ، وهذان السببان هما أصح ما ورد من الأسباب لذلك الفعل منها رضي الله عنها.

أ) أما ما ورد أنها رضي الله عنها وهبت ليلتها لعائشة بعد أن طلقها النبي (ﷺ) : فهي رواية ضعيفة.

قال ابن الملقن - رحمه الله : وَهَذِهِ رَوَايَةُ النَّيْهَقِيِّ مِنْ حَدِيثِ هِشَامَ عَنْ أَبِيهِ : " أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَّقَ سَوْدَةَ ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ أَمْسَكْتُهُ بِثَوْبِهِ ، فَقَالَتْ : مَا لِي فِي الرِّجَالِ حَاجَةٌ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْشَرَ فِي أَزْوَاجِكَ ، قَالَ : فَرَاغَعَهَا ، وَجَعَلَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ ، فَكَانَ يَقْسِمُ لَهَا بِيَوْمِهَا ، وَيَوْمَ سَوْدَةَ. "

وَهَذَا مَعَ إِرْسَالِهِ : فِيهِ أَحْمَدُ الْعَطَارْدِيُّ ، وَهُوَ مِمَّنْ اخْتَلَفَ فِيهِ ، قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : لَا بَأْسَ بِهِ ، وَقَالَ ابْنُ عَدِي : رَأَيْتُهُمْ مُجْمِعِينَ عَلَى ضَعْفِهِ ، وَقَالَ مُطِينٌ : كَانَ يَكْذِبُ (1). "

وكذبه رحمه الله ليس في الحديث ، وإلا كان حديثه موضوعاً ، وقد بيّنه الإمام الذهبي رحمه الله فقال إنه كذب في لهجته ، لا في روايته.

قال رحمه الله: قُلْتُ : يَعْنِي فِي لَهْجَتِهِ ، لَا أَنَّهُ يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُوجَدْ مِنْهُ ، وَلَا تَفَرَّدَ بِشَيْءٍ ، وَمِمَّا يُقْوَى أَنَّهُ صَدُوقٌ فِي بَابِ الرِّوَايَةِ : أَنَّهُ رَوَى أَوْ رَاقاً مِنْ " الْمَغَازِي " بِنُزُولِ

، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ بُكَيْرٍ ، وَقَدْ أَتَى عَلَيْهِ الْخَطِيبُ ، وَقَوَاهُ ، وَاحتَجَّ بِهِ الْبَيْهَقِيُّ فِي تَصَانِيفِهِ. " (1)

وثمة رواية أخرى نحوها قال عنها الحافظ ابن كثير في " التفسير " (2 / 427) : غريب ، مرسل.

ب) وأما القول بأن سودة وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنهما لما هم النبي (ﷺ) بطلاق سودة : فلم نره في حديث ، بل كان فهماً من بعض المفسرين، والعلماء ، ومن ذلك:

قال الماوردي - رحمه الله - في بيان سبب نزول قوله تعالى : (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) -

أحدهما : أنها نزلت في رسول الله (ﷺ) حين همّ بطلاق سودة بنت زمعة ، فجعلت يومها لعائشة على ألا يطلقها ، فنزلت هذه الآية فيها ، وهذا قول السيدي . " تفسير الماوردي. (1 / 533) "

ج) وأما ما ورد أنها رضي الله عنها خشيت من تطليق النبي (ﷺ) لها فقد ثبت في أحاديث صحيحة: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أُسْنِتُ ، وَفَرَّقْتُ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمِي لِعَائِشَةَ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنْهَا ، قَالَتْ : نَقُولُ : فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي أَشْبَاهِهَا - أَرَاهُ قَالَ - : (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا) . " (2)

وَعَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَشِيتُ سَوْدَةَ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ (ﷺ) فَقَالَتْ : " لَا تُطَلِّقْنِي ، وَأَمْسِكْنِي ، وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ ، فَفَعَلَ ، فَتَزَلَّتْ : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) . " (3)

ونحمد الله تعالى ان وفقنا للدفاع عن نبيه سيدنا وسيد الدنيا كلها سيدى ونور عيني سيدى رسول الله (ﷺ)

B وتوفيقه كتاب الانتصار... للنبي المختار، فان كان من صواب فمن الله وحده ، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان .

(2) سير أعلام النبلاء (25/55)

(3) رواه أبو داود (2135) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود

(8) رواه الترمذي (3040) وصححه الألباني في " صحيح الترمذي

الفهرس

- 3 - مقدمة
- 7 - تمهيد
- 15 - شبهات حول النبي (ﷺ)
- 76 - شبهات حول أم المؤمنين السيدة/ خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - ..
- 81 - شبهات حول أم المؤمنين السيدة/ عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنها وعن أبيها - ..
- 104 - شبهات حول أم المؤمنين السيدة/ سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - ..
- 109 - الفهرس